يوم .. أن غرقت إيلات .. !!

كما يولد الخير من الشر. ويشرق النور من دياجير الظلام، ويهمى الماء. من السحب الداكنة السوداء، وكما يهل القمر بسناه فى الليلة المدلهمة الظلماء.. جاء يوم الحادى والعشرين من أكتوبر عام ١٩٦٧.

ولله در الشاعر الأستاذ محمد البحيرى حينما قال فى قصيدته

وقد يجرى الله الخير بيد من كان يضمر لك الشرا

وسجل الجنديان المصريان البطلان النقيب أحمد القارح رحمه الله، والرائد « اللواء «لطفى جاد الله» اسميهما وقبلهما اسم مصر فى سجل الخلود بهذا العمل البطولى الفدائى الخارق. فقد تمكن كل منهما بصاروخ أطلقاه من «لنش» يركبانه على هذه «المدمرة إيلات» فخر البحرية الإسرائيلية، والتى كانت عائدة. أنذاك. لتوها من إنجلترا، مزودة بأحدث، وأغلى تكنولوجيا متطورة فى العالم وفى تسليح البحر.. فما لبثت «المدمرة» غير قليل حتى وارتها الأمواج، وابتلعها اليم الذى أطبق عليها - بعد انفجارها - من كل حدب وصوب!!.

ولم يكن بحسبان إسرائيل - قبل إغراق المدمرة «إيلات» - أو يدور بخلدها أن تفيق مصر من النازلة التى نزلت بها - غيلة وغدرا - فى يونيو ١٩٦٧ ناهيك عن أن وزير دفاعها المتعجرف «موشى ديان» كان قد صرح فى الكنيست الإسرائيلى بقوله: «إننى لن أسمح لأى صرصار مصرى أن يدخل إيلات».. ودخلت «صراصير» إسرائيل من بعدها شقوقها!!.

وأصيبت إسرائيل فى مِقتل، واهتز كيانها والتاث عقلها وفقدت توازنها. فقد أجج غرق إيلات فى أحشائها لاعج النار، وتكسر العود الذى كانت تعزف عليه والأوتار. وأحست بأن الجيش المصرى ممثلاً فى بحريته، قد هب من رقدته وصحا من غفوته، فقد فقدت بفقدها إيلات نصف البحرية الإسرائيلية كما حدد الخبراء، وفقدت إسرائيل معها نصف عقلها.

ولقد أثبتت مصر بهذا العمل المجيد الذى تناقلته الصحف والإذاعات العالمية مقدرتها القتالية وقدرتها الحربية، وإنها قادرة على التحدى والتصدى لكل من تسول له نفسه

التعدى على حرمة ترابها أو أن يجوس فى أرضها.. حتى حررته وطهرته فى حرب أكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣؟!.. وفقدت إسرائيل فى هذه الحرب النصف الثانى من عقلها.

تحيـــة إكبار وإجلال للبحريـــة المصرية فى هذا اليوم الأغر. الـذى هو يوم «خالد» فى تاريخها. فى عيد نصرها ومجدها، وما النصر إلا من عند الله.

وداعا .. فارس الكلمة الحر ة ..

وداعا مصطفى أمين صاحب المدرسة الصحفية التى أصبحت نبراسا لصحافة الشرق، وإذا كان القدماء قد تواتروا على إطلاق اسم المدرسة على كل من له منهج ومنهاج، فأنت المؤسس لصحافة حرة تركت بصماتها على جبين مصر.

التقيت الكاتب الكبير مرتين : الأولى عندما كنا مدعوين، والدى وجدى واللواء «عاطف بركات» – رحمهم الله –، لحضور حفل قران ابنة المرحوم عبد الله «بك» بركات ابن المغفور له «فتح الله باشا بركات» أحد أبطال ثورة ١٩١٩، والذى نُفى مع خاله الزعيم خالد الذكر «سعد زغلول» إلى جزيرة سيشل عقب اندلاع الثورة المصرية الكبرى ١٩١٩.

جمعتنا مائدة واحدة، وكان بصحبته شقيقه الصحفى الكبير «على أمين» وتتقدمهما السيدة «أم كلثوم».

وكان حديثه معنا حديثا جزلا جمع بين الصحافة والأدب.

والثانية كان بمناسبة عقد قران كريمة الأستاذ «عادل أغا» الذى ذكره الإمام الشيخ «الشعراوى» فى حديث له معى وبإنه باستثماراته وأمواله التى رصدها للخير كان سببا فى فتح أربعين ألف بيت فى نيجيريا.

هش وبش عند رؤيته لى واستقبلنى بترحاب مازال صداه يتردد فى نفسى حتى الآن.

وبالأمس ودع «مصطفى أمين» الحياة بعد أن ملأ الدنيا وشغل الناس، وكان أستاذا لأجيال عديدة من الصحفيين الموهوبين فى مصر بل وفى العالم العربى، وقد كان إماما. وكذلك كان قيمة ومكانة بالثقافة المتباينة، والشجاعة الفائقة والرأى الحر.

زج به فى غيابة الجب إثر مؤامرة مكشوفة، ووضع فى زنزانة باردة مظلمة، بين القتام والرغام والبلاء، بعد أن كان يعيش بين الملوك والرؤساء والكبراء، وخرج من محبسه عملاقا قويا راسيا كالرواسى من الجبال، ومن يقرأ الرسالة الوثيقة كما أطلق عليها الأستاذ «محمد حسنين هيكل» والتى بعث بها إلى الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» يشرح فيها له أسباب براءته من التهمة الجائرة التى أراد زبانية الشر أن يصموا بها شخصه وتاريخه يتيقن إنه برئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب منها. وكان لسان حاله فى هذه الرسالة لا يقول مثلما

قال «روبرت أوبنهايمر» أبو القنبلة الذرية، للرئيس «هارى ترومان» عقب إلقاء القنبلة الذرية على هيروشيما ونجازاكى: «سيدى الرئيس إن يداى ملطخة بالدماء»! فلم يلوث مصطفى أمين يداه بهذه التهمة الشنعاء، فقد كان وطنيا أبيا ينهض على مصلحة وطنه وبلاده.

ومن قرأ عن (الرحلة الغامضة)، كما أسماها هو، يجوب بها البقاع والأصقاع فى طائرة عسكرية مرسلا من قبل الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» إلى بعض البلدان ليدافع عن مصالح مصر مع تعرضه للخطر المحيق يعرف كيف كانت وطنية مصطفى أمين.

وقد أمر الرئيس «محمد أنور السادات» بإطلاق سراحه بعد تأكده من براءته وقد مسحت أعلى محكمة فى مصر عن جبينه هذه التهمة النكراء، بعد خروجه من محبسه طوال تسع سنوات لاقى فيها العذاب والهوان.

مصطفى أمين هو القامة المشرئبة فى عالم الصحافة وعالم الوطنية والتى طالما نافح وكافح من أجلها، لكى تنعم مصر بها.

مات مصطفى أمين وهو فى أوج تألقه، وبموته فقدت مصر ابنا بارا من أبنائها المخلصين قلما يجود الزمن بمثله.

وداعا فارس الكلمة الحرة..

❑❑❑

وداعا محمد وجدى عبد الصمد

قطوف يانعة من سيرته العطرة التى حوت ووعت.. أسرد هاتيك النتف المتفرقة منها.

فهــو صاحب الكتاب المتفرد (الاعتذار بالجهل بالقانــون) الذى أضحى مرجعا للعلماء الثقــات فيما لو أرادوا أن ينهلوا من منهله.. المبــدأ الضارب فى القدم منذ عهد الرومان.. فالســؤال الذى يثــور.. هل يعتد بهذا الجهــل بالقانون إعمالا لاعتبــارات العدالة أم يتم التجاوز عنه؟.

والجهل ببســاطة هو نقيض العلم والجهل بالقانون يعنى عدم العلم بحكم القانون على وجهه الصحيح فبينما يرى البعض أن ثمة تفرقة بين الجهل والغلط ليست سوى تفرقة فى الدرجة فقط دون الطبيعة بحسبان أن الجهل هو غلط كلى والغلط هو جهل جزئى وكلاهما كما عبر الأستاذ الدكتور عوض غازى، يعنى انتفاء المعرفة الصحيحة وإن كان الجهل يمثل غيابا تاما لهذه المعرفة والغلط يمثل عدم كمالها.

فالقاضى الذى يطبق القانون قد يكون جاهلا لبعض قواعده أو تعديلاته المتلاحقة بدون ضابط، آية ذلك الكثير من الأحكام القضائية التى ثبت عوارها أمام المحكمة الأعلى.. بل إن المشرع نفسه قد يقع فى هذا العوار بعدم قدرته على مايطرأ من التشريعات التى أصدرها سواء بالتعديل أم بالإلغاء.

ويرى القاضى الفقيه وجدى عبد الصمد أنه فى فقه الشــريعة الإســلامية يشترط لصحة التكليــف أن يكــون المكلف به معلوما للمكلف علما تاما – أى يقينيا – ليتســنى له القيام به.. وهذا ما ارتآه شــيخ شيوخ مجلس الدولة العلامة الدكتور عبد الرازق السنهورى حيث ذهب إلى أن الجهل بالقانون يصلح عذرا إذا لم يصحب الجهل تقصير.

هذا الســفر الرائع للمغفور له محمد وجدى عبد الصمد يفصح عن عقلية القاضى العالم الــذى زاوج بــين الفقه والقانــون.. فالقاضى الذى يعتمد على ضميره وعقله لا يشــعر بأية غضاضــة فى تطبيق ذلك المبدأ القويم المســتقيم.. فالبحث عن الحقيقــة أمتع من الاهتداء إليها.. وإن كان من المحرم على القاضى أن يتناول النص القانونى بالطعن أو التجريح كما ذهب الفقيه (رانسون).

وهو صاحب الجرأة المحمودة وهو يجأر أمام الرئيس الشهيد أنور السادات قائلا له فى حفـل أقيم بنادى قضاة مصر، وبصوت جهورى يغلفه دماثة الخلق: فإذا غضبت فاغضب من نفسـك أنت. وكان القاضى الفقيه يطالب الرئيس السادات أن يمحو عن جبين القضاء القوانين التى وصفت آنذاك.. بالقوانين سيئة السمعة.

وهو صاحب الأريحية التى تذكر فتشكر وصاحب الوفاء الذى يندر وجوده بين البشر.. فالوفاء خلة الأقوياء.

منذ نيف وثلاثين عاما التقيته فى نادى القضاة عندما رآنى رحمه الله هش وبش بوجهه الكريـم مبتدرا إياى قائلا: أهلا بابن أسـتاذنا صاحب مقـال (اليمين).. ثم أردف قائلا: لقـد عبر والدك عما جاش فى صدور القضاة برمتهم بمقاله القيم ذاك.. وكانت الدولة التى خاصمـت القضاة وعسـفت بهم قد أبدلت القانون الذى يقضـى بأن يحلف رئيس محكمة النقض اليمين أمام رئيس الجمهورية حال تسـلمه لمنصبه الرفيع إلى أن يحلف اليمين أمام وزيـر العـدل.. فتصدى المرحوم الوالد لهذا العبث بمقال نشـرته جريدة الأخبار الغراء فى يوميات المرحوم الأسـتاذ أحمد الصاوى محمد تحت عنوان (شـئون قضائية).. ورد فيه أن هذا التعديل الذى حدث فيه خروج على القانون ومألوف العرف وفن التشريع.. وإلا فكيف يحلف وزير أمام وزير، ويزيد من وقع ذلك على النفس أن كان هذا الوزير رئيسـا لإحدى سلطات الدولة الثلاث التى لها خطرها وجلالها وقدسيتها؟.

إنها خلة الوفاء التى لا تتوافر إلا فى الصفوة المختارة من البشر.

رحم الله والدى ورحم الله أسـتاذنا جميعا وشـيخ شيوخ القضاة المستشار محمد وجدى عبد الصمد.. وعوض القضاء خيرا عن فقدانه..

❑❑❑

وداعا .. شيخ الدعاة .. ؟!

مات الشيخ الشعراوى!. مات إمام الدعاة. مات الذى أكرمه الله ورفع ذكره واسمه فى أرضه وفى سمائه؛ مات الذى كرم الله مثواه.. مات مجدد الفكر الدينى فى مصر وفى العالم العربى والإسلامى فهو المجدد الخلاق.. والمبدع الألاق بعد الإمام محمد عبده طيب الله ثراه.. وثراه!

زرته فى بيته بميدان سيدنا الحسين - رضى الله عنه وأرضاه - بدعوى كريمة منه حملها إلى قريبه، وصديقه، الدكتور محمد عبد البر، وما كان لى إلا أن ألبى دعواه، وأن أحبو حبوا إلى لقياه!.

احتفى بى رحمة الله عليه احتفاء كبيرا، أنا ومن كان فى معيتى، وجلست إليه وجلس إلى كريما وتحادثنا، وتحاورنا. أصغى إليه، حيث يجلس قبالتى.. بأذنى وعقلى.. وهو يسمع منى ويستمع إلى بقلبه وعقله، وثاقب فكره، وعرجنا فى الحديث على تفسير كان الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد قد كتبه بخصوص آية كريمة وردت فى كتاب الله ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ﴾ [سورة آل عمران - الآية ٢٠]، وقد فسر الأستاذ العقاد هذه الآية تفسيرها الصحيح قائلا فى مقال له تحت عنوان «خطأ يتحدى الصواب» إن المفسرين درجوا على تفسير هذه الآية بأنها تعنى: قل يا محمد لمن نزل عليه الله القرآن الكريم.. وقل للجهلاء إلى آخر ما ورد بمقاله القيم وارتأى أن التفسير الصحيح لهذه الآية أن الله يأمر رسوله الكريم بأن يقول لمن نزل عليه القرآن وجميع الناس وليس الأميين الجهلاء كما ذهب المفسرون أو بعضهم.

وبعد أن انتقل الأستاذ العقاد إلى الرفيق الأعلى، نقلت عنه هذا التفسير فى مقال لى بجريدة الأخبار بتعقيب منى على مقال كتبه أحد أساتذة الأزهر الأجلاء وهو المرحوم الأستاذ الدكتور «الطويل»، فقامت الدنيا ولم تقعد حتى إن بعض شيوخنا الإجلاء هاجمونى من فوق المنابر فى المساجد، وكنت آنذاك ـ قاضيا بمحكمة الأقصر، وما أن فرغنا من هذا الحديث حتى ألفيته وهو يؤيد - بشدة - ما ذهب إليه أستاذنا العقاد، ويقول: لقد كان الأستاذ العقاد أديبا كبيرا ومفكرا فذا، وقد تتلمذت على يديه، وقد أدى خدمات جليلة

للإسلام والمسلمين.. وهكذا يقدر الرجال الرجال، ويعرف الأقيال، الأقيال؟!.

وذهبت إليه فى بيت صديقه الأستاذ «لاشين» وكان ذلك فى شهر رمضان، و قد أصابنى آنذاك - ابتلاء شـديدا فأمسـك رحمة الله عليه بيدى بكلتا يديه وهو يدعو لى دعاء طيبا ويحثنى على الصبر. فإن (النصر مع الصبر).

وشددت الرحال إليه فى استراحته قبالة ضريح السيدة نفيسة - رضى الله عنها - وأنا الـذى ذهبـت إليه لكى أعوده فإذا به يكرر لى ذات الدعاء متوجها بكلتا يديه إلى السـماء بدعاء لى ولابنى الصغير، الذى كبر الآن، وأصبح قاضيا فى مجلس الدولة، وابن شـقيقتى خالد بركات الذى أضحى رئيسا لإحدى المحاكم ذهبنا لكى ندعو له.. بيد أنه بدعائه لنا صحـح الدعـاء لأنه هو إمام الدعاة.. من الله به علينا فى الدنيا والآخرة، وله الأجر الكبير بكريم الرجاء.

كان رضى الله عنه جليلا، مهيبا، عالما، أديبا.. سمحا فسر القرآن الكريم تفسيرا عبقريا. دقيقا، جميلاً. بزَّ به المفسرين وتفوق به على الأولين وملأ به الدنيا وشغل الناس.

مات الشـيخ الشـعراوى بعد أن خُلد بما قاله وكتبه فى الخالدين وبعد أن أفاد بعلمه الإسلام والمسلمين فى شتى البقاع والأصقاع، وأصبح علامة بارزة فى مصر، وفى العالم كله من علامات القرن العشرين وغيره من القرون.

❑❑❑

هكذا كانت مصر ..

قرأت الأبيات الشعرية التالية للمرحوم الشاعر محمد الأسمر فرأيت فيها تصويرا دقيقا لمصر قبل الثورة.

فانظر معى وتأمل كيف كان الحال فى مصر؟ وكيف كانت الأمور تسير وتصير؟.

تـروح وزارة وتجـى أخـــرى ... ومصر تقلب النظـرات حـيـرى

فيـا وزراء مصـر بكـل عهـد ... لقـد مـل الروايـة شعب مصـر

أجمجـم بالمقـال، وإن أشـفـى ... لنفسـى أن أقـول القول جـهـراً

أرونـى شـاعرا حـرا يـغـنـى ... بـمـا أهوى، فلست اليوم حـرا

تعشـقنا مصالحـنا وهـمـنـا ... بها، ومصالح الأوطـان أحـرى

فواحزنا لمصر جرت رحيقـا ... لمعتصـر يجرعهـا الأمـرا

عـجبـت بها تفيض بكل خير ... ولا تلقى عـلـى الأيـام خـيـرا

كانت الوزارات تؤلف فى مصر وتجىء. ثم تغيب دون نظر إلى مصلحة الشعب فتكتفى من الذهاب إلى دسـت الحكم بالخروج منه، فلا يرضى الملك وحاشـيته إلا ذاك، فتضيع مصلحة الشـعب ويختل نظام الحكم فى مصر المحروسـة اختلالا غير مسبوق وبرعونة لم يعرفها العالم من قبل؟!

نقطة الماء.. تقدر بنقطة الدماء .. ؟!

الذى لا مراء فيه – أن نقطة الماء أصبحت توازى نقطة الدماء كما ذهب «كليمنصو» رئيس وزراء فرنسا، منذ سنين طويلة خلت.

وقد أفصحت الإحصائيات عن أن ما يقرب من مليار نسمة أو يزيد من سكان الأرض يعيشون على سطح كوكب الأرض وليس بمكنتهم الوصول إلى المياه النقية.. وفى بعض البلدان مثل – الهند – فإن نقص المياه الجوفية سيؤدى إلى انهيار الزراعة فيها.. وفى الصومال – فى المناطق الريفية – فلابد من السير ثلاث ساعات يوميا من أجل الوصول إلى ماء شرب نظيف؟!.

طفق العلماء يبحثون وينقبون عن الأسباب فألْفوا علتها فى السرف فى استعمال المياه فقد شح الماء فى شتى البقاع والأصقاع نتيجة ذلك، وأمست قلته مع الزيادة المطردة فى السكان تمثل خطرا داهما على الجنس البشرى هى أخطر عليه من أثار القنبلة الذرية كما عبر المؤرخ الكبير «أرنولد توينبى».

سعت دول كثيرة ما وسعها السعى لتلافى أثار هذه المشكلة الداهية الدهياء للخروج من هذا النفق المظلم.. دون جدوى؟!.

ولما تزل الولايات المتحدة الأمريكية تبذل قصارى جهدها مُسخرة تنوع إمكاناتها للهيمنة على السرف فى استخدام المياه وعلى مدى عقود طويلة بغرض وضع الشروط الأساسية لإجمالى الكمية اليومية القصوى لاستخدام المياه.

وقد تطلب هذا من الحكومة الفيدرالية تحديد مصادر تلوث المياه ووضع حدود مقبولة لكل مادة ملوثة.

وها هى ذى الدول التى نضب الماء فيها – أو كاد – تستورد نحو ٢٠٪ من مائها من خلال الغذاء، ومن خلاله أيضا.. ابتاعت الدول الغنية أكثر من ٦٨٪ من مائها؟!.

لما كان ذلك، فقمين بنا أن نحافظ على هذه الثروة التى وهبنا الله إياها، وأن نعض عليها بالنواجذ، فالماء وإن كان يفيض.. فهو – أيضا – يغيض.. وصدق الله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الملك – الآية ٣٠].

نقادة .. ذلك المجهول ؟!

ودعت والدى.. بعد أن تكرما علىّ بالدعاء الكريم الذى كان وسيظل سندا لى فى هذه الحياة إثر صدور القرار الجمهورى الخاص بتعيننا فى سلك النيابة العامة.

وكان المكان الذى سوف أباشر عملى فيه ـ كما اختاره الله سبحانه وتعالى لنا – هو مدينة قوص، وكانت تتبعها آنذاك قرية نقادة التى انفصلت منذ سنوات عن الأولى وأصبحت نيابة مستقلة بذاتها كلاهما يتبع نيابة قنا.

كان أهل قوص فى هذه الفترة الزمنية البعيدة ولمدة تنيف عن الأربعين عاما شغلهم الشاغل هو صناعة الخمور من تقطير العنب، كنت أرى أن اقترافهم لهذا الفعلة النكراء لا يتسق أو يتفق مع مكانة (قوص أو نقادة) التاريخية.

وفى التاريخ الفرعونى القديم ما استنتج منه علماء النبات أن الكروم وردت إلى مصر من آسيا، وكلمة «أرب» باللغة الفرعونية القديمة «تدل على النبيذ»، وكان من الممكن كما جاء فى الشعر الأغريقى على لسان «هيبوناكس Hipponax» و «سافو Sappho» رؤية عروش الكروم فى جميع أنحاء مصر منذ عصر الملك «مينا» إلى عصور القياصرة، فى كل بساتين المعابد، وحدائق النبلاء، حيث كانت عناقيد العنب الأسود أو المائل إلى الحمرة كبيرة غزيرة كعينى الإله «حورس» اللتين تقول الأسطورة: إن العنب جاء منهما، وقد استخدمها المصريون القدماء فى صنع نبيذهم، وقد احتسوا منها إلى درجة النشوة.

وقد سميت مقبرة «وخميرع» بطيبة «مقبرة الكروم»، ومن حقل الكروم العظيم كان يأتى طعام مصر، كما جاء فى «معجم الحضارات المصرية القديمة».

وقد كانت أول قضية أقوم بتحقيقها لها صلة بصناعة الكروم، فى تلك القرية النائية من جنوب الوادى فقد تجرع المتهم فيها – ما شاء له – أن يتجرع من قارورات النبيذ المخمر، حتى الثمالة، ثم يمم وجهه إلى الحقل الذى كان المجنى عليه يدأب على الذهاب إليه فى باكورة الصباح، وقبل أن يتنفس الفجر، لينهض على الاعتناء بزراعة حقله، أطلق عليه ثلاث طلقات من غدارة، كان يحرزها بدون ترخيص، كما أثبتت التحقيقات فيما بعد، فأردى المجنى عليه مضرجا فى دمائه، وحمل جثته، وألقى بها فى مجرى للمياه،

وذلك بسبب عداوة بينهما قديمة، كان الشاهد الوحيد فى هذه القضية هى زوجة المجنى عليه، فى حوالى العقد الثالث من عمرها، تبدو عليها مخايل الذكاء مع مسحة من الجمال الظاهر، وقعت هذه الجريمة قبل انبلاج الفجر بقليل.

حيث كان الليل ما زال يلف ساحة الجريمة بظلامه، بيد أن نور القمر كان يبدد شيئا من هذا الظلام.

وأثناء مباشرتنا للتحقيق دفع دفاع المتهم بعد أن قبضت عليه الشرطة وتيقنت أنه المقترف بأن موكله – لم يكن هو مرتكب الحادث، وما شهدت به الشاهدة هو إلا أضغاث أحلام، حيث إن حالة الرؤية لحظة ارتكاب الجريمة، لم تكن تسمح للشاهدة أن ترى الفاعل، ومن ثم طلب إخلاء سبيله من سراى النيابة.

بيد أن الشاهدة أصرت على أنها رأته رأى العين حال إطلاق الرصاص من غدارة كان يحملها وولى الأدبار.

بعد انتقالنا لمكان الجريمة الذى يقبع فى مكان بعيد عن العمران، وكانت القرية ساعتئذن تغط فى سباتها وكان البادى للعيان أن صولة الدهر قد أتت على مبانيها القديمة فتناثر على بيوتها لجج من التراب ويلفها ظلام دامس، حيث إنه من المعروف أن أشد ساعات الظلام هى أشد أوقات الحلكة هى تلك التى تسبق الفجر الصادق بلحظات، كانت القرية لا حركة فيها، ولا صوت، إلا من عواء ذئب، أو نباح كلب، أو صياح ديك، مع شعاع باهت ينبعث من نور القمر الذى كان يتوسط كبد السماء.

قمنا بمعاينة ساحة الجريمة، وبصحبة الشرطة التى كانت فى معيتنا، وناظرنا الجثة التى عثر عليها طافية على صفحة المياه، وأمرنا بتشريحها لتبيان سبب الوفاة، وأخذًا بحق الدفاع قررنا أن نجرى معاينة ضوئية فى مثل اليوم والساعة اللتين ارتكبت فيهما الجريمة بعد شهر من وقوعها، وأرسلنا خطابا إلى مصلحة الأرصاد الفلكية لتحديد ذلك، وإذ ورد خطابها محددا اليوم والساعة الذى يواكب وقت ارتكاب الجريمة.

وانتقلنا مرة أخرى إلى أرض الجريمة استكمالا للتحقيق بعد أن أحضرت الشرطة مجموعة من الرجال متماثلين فى الطول والحجم مع هيئة المتهم، أوقفتهم صفا ونودى على الشاهدة بعد أن مرت عليهم فردا فردا لتكشف لنا عن المتهم الذى قتل المجنى عليه، فأشارت على المتهم عينه، الذى أثبتت تحريات الشرطة إنه هو الذى قام بتنفيذ فعلته،

وكررنا العرض عليها مع اختلاف الملابس والهيئات، فأشارت عليه مرة أخرى، بل ومرة ثالثة.

وعند سؤالى لها: هل هذا هو الذى شاهدتِه - بعد أن أشارت إلى أحد الواقفين فى طابور العرض - وهو يطلق الرصاص على المجنى عليه؟. جذبتنى من «سترتى» بشدة، وقالت لى وبحدة - وبلهجة صعيدية: حاتُجلى «هودا إللى قتل زوجى».

تصرفنا فى القضية على الوجه الذى اتفقنا عليه أنا وزميلى الأستاذ «محمود عبد الحميد» الذى هو الآن المستشار رئيس محكمة الاستئناف، والذى كان يتميز، بالأدب الجم، وسعة الأفق. حيث إن له تواليف فى الفكر والأدب.

تداعت الذكريات إلى عقلى فسألت نفسى: ترى ما الذى يأتى به الزمان للبشر بل وللحجر، «فنقادة» هذه قد سُميت فى بعض عصور مصر القديمة باسمها، فكان هناك عصر «نقادة الأولى» (٤٠٠٠ ق م - ٣٥٠٠ ق م) كما أن ثمة حضارة « نقادة الثانية»، ناهيك عن حضارة «نقادة الثالثة» (٣٣٠٠ ق م - ٣١٠٠ ق م)، وهى الفترة التى اكتشف فيها المصريون القدامى النحت البارز الذى احتل مكانا مهما فى العصور اللاحقة؟!.

وما أعجب ما يأتى به الزمان فى كل عصر وأوان؟!.

❑❑❑

من تعاليم قدماء المصريين ..

خلَّف قدماء المصريين لنا ثروة زاخرة بشتى المعارف والفنون فى عالم التربية والتعليم مما يدل دلالة أكيدة على أن مصر صاحبة أقدم مدنية فى التاريخ كانت دائما مشعل النور للبشرية قاطبة: والمعلم الأول لها.. وهاك مقتطفات من تعاليمهم ونصائحهم:

يقول «بتاح حتب»:

كن مسالما لجميع الناس، إياك والكبر والغرور، وسوء الخُلق والحدة فهذه تنفر الناس منك، الخلد لك زوجة وابتعد عن حبائل النساء - قريبات كن أم غريبات. تجنب الخصام ولا تجعل البِشر يفارق مُحياك دائما. عش سعيدا متى استطعت وبقدر ما تستطيع تجهد نفسك فى العمل أكثر من حاجتك.

وإذا تكلم من يفضلك علما وحكمة فأنصت له فى خضوع ولا تغضب منه إذا خالفك فى الرأى «تجنب كلام السوء معه ولا تعارضه إذا تكلم» وإذا كان محدثك زميلك ويناظرك فلا تسكت إذا قال لك وهو يحاورك شيئا. وإذا كان محاورك دونك منزلة فلا تحتقره لأنه وضيع القدر، ولا تصب عليه غضبك فمن العار أن تربك ضعاف العقول. وحاذر أن تخلق لك بالكلام من الناس أعداء، ولا توقع بين الناس بقلب الحقائق ولا تفشى ما يسر به الناس إليك، وإذا كنت قويا فاكسب احترام الناس بعلمك وظرفك، تكلم بقوة ولا تسكت وأضبط نفسك، ولا تظلم من اكتنفته الأحزان والشجون، وإذا تنكب أحدهم الصراط السوى - رغم نصحك له - ثم غفرت له زلته فلا تذكر له بعد ذلك أنه قد أصم أذنيه عن النصح.. فهوى.

يقول المؤرخ «جميس هنرى برستيد» فى كتابه القيم «فجر الضمير»: وإنه لمن الممتع حقا أن نعرف الوقت الذى بدأت تظهر فيه نفس كلمة «أخلاق» أو «خُلق» لأول مرة فى كلام أبناء البشر. لقد بدأ ذلك فى عصر الأهرام، وسرعان ما صارت متداولة فى موضوعات التعليق والتأمل. ففى حكم بتاح حتب نرى ذلك الوزير الحكيم المسن يذكر ابنه بأن الفضيلة فى الابن لها قيمة عظيمة عند الوالد، وأن «الأخلاق» الحسنة شىء جدير بالذكر. وبذلك ينسب أقدم استعمال لتلك الكلمة إلى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد وبعد انقضاء نحو خمسة قرون على انقضاء ذلك العهد، نلفاها أى كلمة «أخلاق» فى تلك النصائح التى وجهها أحد الفراعنة إلى ابنه مريكارع حيث يقول: «إن الله عز وجل الذى يعرف الأخلاق».

وقـد تتطورت كلمة «الأخلاق» كما يقول «برسـتيد» إلى نظام جديـد يتمثل فى حكماء أخـلاق المصريين. فأضحى يعبر عندهم بكلمة (ماعت) التى تعنى (الحق) و(الاسـتقامة) و(العدل) و(الصدق).. مما يعنى أن المصريين هم الكاشـفون للأخلاق، وانتقلت منهم بعد ذلك إلى الكنعانيين أهل فلسـطين. ومنها انتقلت بعد ذلك إلى العبرانيين، وقد كان أعظم كشف جاوز حد المألوف فى هذه الناحية هو أننا عرفنا أن حكمة أمينموبى، التى حفظت لنا فى ورقة مصرية بالمتحف البريطانى، قد ترجمت إلى العبرية فى الأزمان الغابرة، وأنه بذيوعها فى فلسطين، صارت مصدرا استقى منه جزء بأكمله من كتاب الأمثال فى التوارة.. لقـد أضاف هذا الكشـف أهمية بعيدة المدى إلى الحقيقة القائلـة بأن التقدم الحضارى فى الممالك التى تحيط بفلسطين كان أقدم بعدة ألاف من السنين عن التقدم العبرى، ولقد أصبح من الواضح الجلى أن التقدم الاجتماعى والخلقى الذى أحرزه البشـر فى وادى النيل الذى يعد أقدم من التقدم العبرى بثلاثة ألاف سـنة، قد سـاهم مساهمة فعلية فى تكوين الأدب العبرى الذى نسميه نحن (التوارة).

وقـد كان قدماء المصريـين يتحلون (بالعـدل) وكانو يصرون على تحققـه دائما، ففى خطاب الوزارة الذى كان يلقيه الفرعون بمناسبة تعيين الوزير – أى رئيس الوزراء حاليا، كان فرعـون مصـر يعظ الوزيـر ويأمره بمراعاة العـدل بين الناس وعدم إذلال الشـعب أو مداهنة الأمراء والمستشـارين والكبراء، أى أن فرعون مصر لم يكن غافلا عما قد يحدث من تجاوزات، يقول الفرعون لهذا الموظف الكبير «واعلم أن الوزارة ليست حلوة المذاق، واعلم أنها (يعنى الوزارة) لا تعنى إظهار احترام أشـخاص الأمراء والمستشـارين، وليس الغرض منها أن يتخذ بها الوزير لنفسـه عبيدا من الشـعب. واعلم أنه عندما يأتى إليك شاك من الوجـه القبلـى أو البحرى، أو من أى بقعة فى البلاد، فعليك أن تطمئن إلى أن كل شـىء يجرى وفق القانون، وأن كل شئ قد تم حسب العرف الجارى، فتعطى كل ذى حق حقه، واعلـم أن الأمـير يمثل مكانة بارزة. وأن الماء والهواء يخبران بكل ما يفعله، واعلم أن كل ما يفعله لا يبقى مجهولا أبداً».

ثـم يحـذر الوزير من الطغيان والتحيز قائلا «فلا تنس أن تحكم بالعدل لأن التحيز يعد طغيانا على الإله، وهذا هو التعليم (الذى أعلمك إياه) فاعمل وفقا له وعامل من لا تعرفه، والمقـرب مـن الملك كالبعيد عنـه، واعلم أن الأمير الذى يعمل بذلك سيسـتمر هنا فى هذا المكان» ولا تغضبن على رجل لم تتحر الصواب فى أمره.

من تعاليم أمينموبى لالتزام كبار الموظفين للعدل:

لا تفسدن رجلا فى قاعة المحكمة (أى تجعله يشهد زوراً).
ولا تزعجن الرجل المحق (كى يعدل عن شهادته).
ولا توجهن كل التفاتك إلى فرد قد لبس ملابس بيضاء.
بل اقبله فى خرقه الباليه.
ولا تقبلن هدية رجل قوى.
ولا تظلمن الضعيف من أجله.
لأن العدل هبة عظيمة من الله.
وسيعطيها من يشاء.

ومـن قيمهم أيضـا – مما يدخل فى باب العدالة – تقديـس الحق. يقول الحكيم بتاح حتب «إذا كنت حاكما تصدر الأوامر للشعب فابحث لنفسك عن كل سابقة حسنة، حتى تستمر أوامرك ثابتة لا غبار عليها. إن الحق جميل وقيمته خالدة، ولم يتزحزح من مكانه منـذ خلق لأن العقاب يحل بمن يعبث بقوانينه، وقد تذهب المصائب بالثروة، ولكن الحق لا يذهب، بل يمكث ويبقى».

❑❑❑

من قاض مصرى إلى حاكم العراق..

لا أخفى عليك أيها السيد الرئيس أننى كنت معجبا بك ذات يوم قريب يوم نقلت إلينا الصحف أنك ألقيت القبض على ابنك عدى وزججت به فى غياهب السجن لقاء ما اقترفت يداه من قتله حارسه الخاص وعندما توسط إليك وتوسل لك سادة العراق لكى تخلى سبيله رفضت رفضا قاطعا الانصياع لما يطلبون وقلت بالحرف الواحد، لن أعفو عن هذا الرجل.

قلت فى نفسى آنذاك: هذا رجل عظيم وفكرت فى أن أحرر لك خطابا أنهى لك فيه إعجابى بك واحترامى إياك، فإن لم يكن فى موقفك هذا إلا أنك سقت ابنك إلى السجن ردعا وزجرا له لكفى ذلك، لكى يعرف الجميع أنه لا فرق بين حاكم ومحكوم.

وتذكرت على الفور قصة عمر بن الخطاب، مع حاكم مصر عمرو بن العاص عندما ضرب ابنه أى ابن عمرو أحد أترابه صافعا إياه على وجهه. فلما تضرر المضروب قال له الضارب. إلا تعرف من أنا؟ إننى ابن الأكرمين.

فرفع المضروب مظلمته إلى عمر بن الخطاب فأمر عمر رضى الله عنه عمرا وابنه مع بعد الدار ومشقة المزار أن يمثُلا بين يديه، فلما مثُلا قال عمر للشاكى: اضرب ابن الأكرمين كما ضربك. وعلا بدرته صلعة عمرو وقال له قولته التى ذهبت فى أسماع الزمن مذهب الخلود: متى استعبدتم الناس يا عمرو وقد ولدتهم أماتهم أحرارا.

هل تفتح قلبك يا سيادة الرئيس لقاض مصرى لكى يقول لك كلمة الحق التى تشربها منذ نعومة أظفاره إذا علمه أبوه رحمة الله عليه، وكان قاضيا فاضلا كبيرا أن الحق أبلج والباطل لجلج، وقد علمنا القضاء إنه لا جناح على المرء أن يعود إلى محجة الصواب. وأن يرجع إلى كلمة الحق إذا ما تبين له أنه سدر فى طريق الباطل.

السيد الرئيس: لقد أخطأت خطأ جسيما يوم أن جست بجيشك خلال الديار الكويتية.. ويوم أن تهددت بجحافلك أرض الله.. أرض المملكة العربية السعودية.. هذا البلد الأمن الذى كرمه الله فى كتابه الكريم على لسان نبى الله إبراهيم عندما دعا له: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾. [سورة إبراهيم – الآية ٣٥] ويوم أن استقدمت بفعلك – وعملك وما أتته يداك – الجيوش الأجنبية تطأ بأقدام جنودها أرضنا المقدسة وتجثم على صدورنا.. وتنوء على كاهلنا بكلكلها.

السيد الرئيس .. أرجوك أن ترهف أذنيك لكلمة الحق وأن تفتح قلبك لنداء العقل الذى ناداك فلم ترد عليه ونصحك فلم تلق بالا إليه..

اسحب جيشك وعد إلى بلدك .. وارض ربك أرضاك الله. حقنا للدماء.

فهل تلبى هذا النداء وذاك الرجاء؟.

إن فعلت وأضرع إلى الله أن تفعل .. فسوف تدخل التاريخ من أوسع أبوابه مثلا للرجولة ومثالا للرجوع إلى الحق.

وصدق عمر بن الخطاب: ارجع إلى الحق.. فإن الحق قديم.

والسلام على من اتبع الهدى..

❑❑❑

ملحمة أكتوبر السادات .. وصائد الدبابات

والملحمة هى وكما جاء فى «لسان العرب»: الوقعة العظيمة القتل. كما قيل إنها موضع القتال.. يقولون: اليوم «يوم الملحمة» كما كان فى فتح مكة. وألحمت القوم أى قتل الخصوم أعداءهم حتى صاروا لحما.

وهكذا كانت ملحمة اليوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ففى تمام الساعة الثانية ظهرا وأربع دقائق أنطلق نسور الجو يحطمون قواعد إسرائيل الجوية حتى سويت بالأرض، وفى تمام الساعة الثانية ظهرا وأربع دقائق وقفت «أخت يوشع» فى كبد السماء كما فعلت من قبل مع «يوشع النبى» وهو يحارب أعداءه.. تشاهد خير أجناد الأرض يمخرون بقواربهم عباب القناة إلى حيث الهدف المعلوم بعد أن سلطوا «خراطيم» المياه الجبارة على الساتر الترابى الذى يخفى رؤوس الأعداء عن عيونهم كاشفة لهم عنها، وعن مرابضهم التى تحولت فى دقائق إلى بقايا أشلاء تناثرت فى الهواء بما فيها وما تحويها فأمست أشلاء تذروها الرياح. حتى أن «موشى ديان» صرخ وبحدة فى وجه «أياهوزعيرا»: لو لم أكن متأكدا أنه لم يبق خبير سوفيتى واحد فى مصر لقلت إننا نحارب روسيا نفسها. وتساقطت نقاط بارليف الحصينة التى كان الطريق لها وعرا والمرتقى إليها صعبا بل من ضروب المستحيل، كما تتساقط أوراق الشجر فى الخريف، وتوغل الجيش المصرى إلى قلب سيناء فى يوم الأثنين الثامن من أكتوبر حتى إنهم أطلقوا عليه «الإثنين الأسود فى إسرائيل».

وتدفقت الموجات تلو الموجات من جنود مصر الأبرار وهم يصيحون صيحة النصر التى كانت قد غابت عنهم كثيرا وهم يرددون «الله أكبر.. الله أكبر» ينقضون على المخابئ التى يختبئ فيها عدوهم اللدود حتى دب الرعب فى قلبه وأصابه الفزع الأكبر واستبد به الشعور بأنه قد أمسى – لا محالة – فى عداد الأموات فما كان من كبيرتهم «جولدامائير» إلا أن هُرعت إلى الهاتف، والدمع تذرفه فى الخد عيناها – تستصرخ رئيس الولايات المتحدة «نيكسون» قائلة له «Saif Israel» ويلبى «نيكسون» – بعد حين – نداءها ويأمر بفتح ترسانات السلاح الأمريكى لها مقلة إياها إلى – ربيبتها – إسرائيل عبر الأجواء والبحار والأنهار.

وأضحى جيش مصر حديث العالم من أدناه، إلى أقصاه فما أن طرق سمعه الأخبار، أخبار العبور الجسور – حتى تساءل: هل كذبته أذناه؟!.

فقد كان الجيش الإسرائيلى قد أشاع وأذاع عقب حرب ١٩٦٧ أنه صاحب الأذرع الطويلة، وأنه الجيش الذى لا يقهر. ففى ستة أيام دانت لهم أرض مصر سيناء بما رحبت فقد اغتصبوها على - حين غرة - وداسوا بدباباتهم ومدرعاتهم على جنود مصر، وهم أحياء بل ودفنوا منهم البعض وقد كانوا ومازالوا أحياء فى باطن أرض سيناء بعد أن ضربوا مصر فى مقتل وهيئ لهم أنها قد ماتت وأنى لها أن تعود إلى حياتها من جديد؟!.

كان السادات محرر الأرض والعرض من قبلها - قد تيقن أن القوتين العظيمتين روسيا وأمريكا يحرصان على وجود إسرائيل، وبالإيمان بالله والخضوع للواحد القهار سدد الله خطى السادات وبث الثقة فى قلبه وأن النصر آت لا ريب فيه وذلك بعد أن سخرت منه الشعوب العربية وهزأت منه الدول الغربية وأغرقته فى النكات والتشنيعات هازئة من قولته «أنه سيحارب»؟!.

واتخذ السادات القرار واستطاع جيش مصر بجنوده وقواده البواسل وفى (ست ساعات) وليس (ستة أيام) عبور المانع المائى العظيم الذى لا يضاهيه إلا «قناة بنما» وحطم خط بارليف وهو أقوى خط دفاعى فى التاريخ يبدأ من قناة السويس بعمق أثنى عشر كيلو مترا فى عمق شبه جزيرة سيناء بتجهيزات حربية مُشَكِلا ستة عشر موقعا حصينا تقع جنوب القناة عند التقاء البحيرة المرة الصغرى بقناة السويس وكان أمنع من خط « ماجينو» الذى أقامته فرنسا على حدود المانيا لمنع تقدم القوات الألمانية، وأشد من خط «بارت الدفاعى» الذى شيدته فرنسا - كذلك - على حدود تونس لسد أى هجوم محتمل عليها. انهار خط بارليف الذى كان رمز القوة والمناعة لإسرائيل ورمز الإهانة لمصر، وتلاشت تحصيناتهُ وفتح الطريق لجيش مصر الذى إستولى على القنطرة شرق ورفعت أعلام مصر خفاقة على أرضها.

وسجل تاريخ الحروب فى أنصع صفحاته بطولات جنود مصر على أرض سيناء بدماء الشهداء البررة الأوفياء. فهاهوذا القائد الذى تحول من الدفاع إلى الهجوم محققا معجزة عسكرية من النادر تحقيقها بعد أن بتر ساقه برصاص العدو، دون أن يشعر وهو «اللواء عادل يسرى» وذاك هو «عبد الوهاب الحريرى» الذى قلده السادات نجمة سيناء لبطولاته وذاك هو الفريق فؤاد غالى الذى قاد فيلقه بنجاح إلى عبور القناة وهؤلاء هم «سعيد خطاب وفؤاد بسيونى والشهيد أحمد شكرى، ومحمد العباسى «الذى كان أو من رفع العلم المصرى فوق سيناء، وغيرهم المئات والمئات من أبطال جيش مصر الغر الميامين.

ثم يجئ محمد عبد العاطى صائد الدبابات.. المقاتل الأسطورة الذى دمر بمفرده ماينيف على العشـــرين دبابة خلال نصف الساعة وبث الوجل فى قلب الإسرائيليين. كذلك العقيد يســـرى عمارة الذى «أســـر عســـاف ياجورى» قائد اللواء ١٩٠ المدرع الإسرائيلى الذى وقع جنوده بين يديه وسيقوا إلى مخفرهم فى شكل ذليل مهين.

يقول إســـحاق بن هارون: «إن الكذبة الإســـرائيلية التى وقرت فى أذهاننا أن إسرائيل لا تقهر.. «قد قُهرت» ببسالة جنود مصر الذى اندفعوا كالسهم إلى قلب إسرائيل يمضون إلى رميتهم فى عزيمة ومضاء إلى الهدف – لا يحيدون عنه ولا يميدون، وذاقت إسرائيل وبال أمرها بعد أن لجت فى غرورها ولُقنت من جيش مصر درسا بليغا اليما لن تنساه، عبر كر السنين وتعاقب الأيام.

❑❑❑

مصطفى أمين .. فى ذكرى الأربعين ..

فى ذكرى الأربعين للكاتب الكبير «مصطفى أمين».. هل لنا أن نقول ما قاله عبقرى الفكر «عباس محمود العقاد» فى رثائه فى ذكرى الأربعين لزعيم مصر الخالد «سعد زغلول».

أحقا قد مضى بعد الرئيس الأربعون عجبا فكيف أذن تمضى السنون؟

حمله الآلاف ومشوا به فى موكب مهيب ومشهد عن العيون لا يغيب، لم يكن وداعه وداع صحفى أديب، أو كاتب ألمعى أديب .بل وداع زعيم لبيب ترك أثرا. وخلف آثارا، وزرع أشجارا من الود وجعلت له فى كل بيت من بيوتات مصر حبيب.

فهاتيك الدموع التى انسابت من المأقى. ثم انثالت بعد ذلك من الأقلام، وتلك الشجون التى شاهدتها فى عيون الأنام، وهى تودع بسويداء قلبها، الفارس الذى عاش مع كر السنين وتعاقب الأيام، يحارب الظلم ممتشقا قلمه وكأنه الحسام، وهو فى ذات الوقت يدعو ملحفا إلى نبذ الخصام وإحلال الوئام، وينشر جاهداً (فكرة) الحب والخير ودعوة الوفاء والسلام.. وهى تؤمل لو أنه عاد مرة أخرى إلى الحياة ؟؟ فما كانت ترجو له إلا الحياة، ولكن هيهات هيهات فذلك حلم لا يرام..؟!.

فهاهوذا يغادر بجسده «الدار» الفانية.. إلى الدار الذى طاب له فيها المقام، والجميع يسأل ويتساءل:

أحقا مات مصطفى أحقا خمد القلم وانطفأ؟؟
أحقا مات فارس الكُتَّاب أحقا ولى مصطفى وغاب؟؟

وها هى ذى الألسنة التى كانت تهاجمه تحييه، وهاهى ذى القلوب التى تعلقت به حبا تناجيه، فهذا شاب فى مقتبل عمره مع كوكبة من زملائه ومريديه، وهذه امرأة (أثقل الإملاق ممشاها) تولول عليه وتبكيه وهذا شيخ فان يلهث وراء نعشه (الكريم) ويرى حياته فيه، وهذا طفل صغير ينادى عليه بملء فيه، وهذا شعب مصر عن بكرة أبيه، والحزن؟ كيف يخفيه؟، يودعه ويرثيه، والذى لا مشاحة ولا مرية فيه. أن أحدا من العظماء أو الكبراء، لم يفز بالألقاب التى أغدقت على مصطفى أمين بعد مماته، وهى صفات – حقا – متأصلة فيه، فهو فى (رأى الشعب) فارس الكلمة الحرة ومقارع الطغاة المستبدين والمتكبر على المتكبرين.. (والكبر على المتكبر فضيلة).

وآخـــر العمالقة من الصحفيين وأســـتاذ مادة الصبر، وصاحب الأيـــادى البيضاء، ونصير الفقراء، ومحامى البوساء، والشجاع صاحب القلم الشامخ ورائد الصحافة الإنسانية. ورئيس تحرير الصحف المصرية، وفقيد الأمة العربية (والحارس القضائى) على الحرية والديمقراطية إلى أخر ما أتت به القرائح فى وصف مصطفى أمين.

وسلام عليك مصطفى أمين.. وعظيم أنت (شعب مصر) الوفى الأمين.

ووداعا صاحب الكلمة الحرة ..

❑❑❑

مجلس الدولة .. حامى حمى الحريات فى مصر ..

يقول أرسطو فى كتابه: «علم الأخلاق».. السلطان.. محك الإنسان.

ذلك أن شر الناس هو ذلك الذى يضر نفسه والناس، وأن الرجل الأكمل ليس هو الذى يستخدم فضيلته لنفسه بل هو ذاك الذى يفيض بها على غيره، لأن هذا أمر شاق دائما، حينئذ لايمكن أن يعتبر العدل مجرد جزء من الفضيلة بل هو الفضيلة ذاتها، وإن الظلم الذى هو ضده ليس جزءاً من الرذيلة.. بل هو الرذيلة بتمامها.

فى غضون عام ١٩٤٦ ارتفعت هامة العدل فى مصر.. هامة رفيعة عالية القدر وضاحة الجبين فقد إنشئ مجلس الدولة المصرى. هذا الصرح الشامخ للعدل فى مصر وأصبحت رسالته - كما نرى - هى فى عبارة وجيزة: «أن ينزع مسلاخ الظلم من الإدارة وأن يسبغ عليها إهاب الفضيلة».

وذلك بعد أن وأد الجهلاء والمستبدون محاولة إنشائه فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر بمقتضى الأمر الصادر من الباب العالى فى ٢٣ أبريل ١٨٧٩.

أصبح مجلس الدولة حقيقة واقعة، بل حقيقة رائعة على حد تعبيرِ العلامة الدكتور «عبد الرزاق السنهورى» ثانى رئيس للمجلس الموقر.

وبهذه المثابة فقد أعلنت الدولة المصرية - فى حقبة من الزمن - أنها تقف بجانب الحق والقانون، وإنها لا تظلم ولا تتعثر و اشرأبت قامة المجلس وزكا عوده، واستوى بشرا سويا.. روعته فى رسالته.. ورسالته فى أن الأفراد والجماعات رأوا فيه غوثا للملهوف ولياذا للعائذين، ومعقلا للحريات..

يعمل فى صمت وسكون، يعاون الإدارة ويفتح لها الأبواب الموصدة، وينير أمامها الطريق القويم المستقيم، «فهو الصديق الناصح»، فلا أحب إلى نفسه من أن يجنب صديقه مزالق الخطأ، ومهما لقى فى عمله من نَصَب ومهما أصابه من عنت فهو لا يحفل بما يعترضه من الصعاب.

وإذا كان القضاء فى كل أمة هو قدس الأقداس، إذ أن العدل هو أساس الملك، فالويل كل الويل لأمة لا توقر قضائها، أو تعتدى على حرمة قضاتها.

ومجلس الدولة - منذ إنشائه - يقوم على رسالة بالغة الخطر، فهو إلى جوار كونه ساعد الدولة فى الفتيا والتشريع ومستشارها الناصح الأمين فى المسائل الدولية والدستورية

والقانونية يقوم بمهمة القضاء الإدارى لإنصاف الشعب من حكامه، إن تحيفوه أو انحرفوا عن محجة الصواب واندفعوا فى بحر الظلمات فشدتهم الشهوات إلى قاع اليَم فغرقوا فى ظلماته.

ومجلس الدولة منذ إنشائه قد أدى واجبه كما ينبغى، فتعرض فى عهد الطغيان السابق لما تعرض له من كيد الكائدين فاعتدوا عليه اعتداء جسيما، واقترفت أيديهم أمرا إدا، أليما جسيما، أمسى وصمة فى تاريخ من فعلوه واقترفوه بعدوانهم المشين على هذا الرجل العظيم الدكتور عبد الرزاق السنهورى باشا – فى ٢٩ مارس ١٩٥٤ – ولولا أن ارتمى سكرتير العلامة السنهورى عليه ليحميه من الاعتداء لفاضت روحه الطاهرة – آنذاك – إلى بارئها.. وثنت الإدارة – بعد ذلك – بعزل الدكتور «السنهورى» من منصبه كرئيس لمجلس الدولة فى ١٥ أبريل ١٩٥٤؟!.

ثم كان القانون الذى أنزل القارعة بمجلس الدولة ورجالاته، بعزل عدد من فقهائه وعلمائه وإحالتهم إلى مناصب غير قضائية فاكتملت فصول هذه المذبحة باستباحة حرمة القضاء وقدسيته، وشرف رسالته باغتيال مجلس الدولة «قاضى المشروعية» وكافل الحريات الفردية بعد أن أضحى ركنها الركين وموئلها الحصين وقبلة المستضعفين وملاذ المظلومين ولهذا جميعه تربصوا به الدوائر وقد سبق أن عنَّ لهم من قبل فكرة إلغائه ومحوه من الوجود.

ومضى المجلس فى رسالته الجليلة فلم تلن قناته، أو تفل شباته ولم يستبدل المجلس – ذات يوم – خشونة المضاجع بلين المخادع ويمم وجهه نحو إحقاق الحق وخذلان الباطل بل وسحقه ومحقه، بفطنة غالبة وفراسة صادقة وفهم دقيق لكل ما يعرض عليه من ظلم للناس من خلال مايحيق بهم من محن أو إحن.

جاء فى كتاب «تاريخ القضاء فى الإسلام» لإياس بن معاوية: «أنه لما ولى القضاء بالبصرة طارصيته وذاع صوته.. حتى جاءه الناس يطلبون منه أن يعلمهم القضاء، فكان يقول لهم: إن القضاء لا يعلم (إنما القضاء فهم) ولكن قولوا علمنا العلم. وهل الفن إلا فهم؟!.

كما جاء فى كتاب «بدائع الصنائع»: «نَصَب القاضى فرض، لأنه ينصب لأمر مفروض وهو القضاء».

كما أن «أرسطو» فى كتابه «ديموندو de mundo» «يريد أن يشرب القاضى الشاب منذ حداثة عهده حب العدل وأن يسلك سبيله. ولا يكفى لذلك أن يقتصر على ما تعلمه فى المدارس بل لابد له من تطبيقات يلتمسها فى دور القضاء».

وبنصب وبفهم حقيقى للأمور بذل مجلس الدولة قصاراه بالضرب على أيدى الطغاة والفاسدين ممن أرادوا أن يفتئتوا على كرامة المواطنين وحرياتهم بأن وضعوا معوقات تتمثل فى تقييد حق التقاضى بوسيلة أو بأخرى بما يؤدى إلى مصادرته كليا، أو جزئيا، بصدور بعض القوانين أو التشريعات المتضمنة النص على حظر الطعن على القرارات أو الأوامر، أو أن يأتى هذا التقييد أو الحظر نتيجة لما يسمى «بنظرية أعمال السيادة» أو نظرية «الظروف الاستثنائية» والتى بمقتضى كل منهما يتم حظر اللجوء إلى القضاء بصدور - هاتيك - القرارات والأوامر الصادرة من جهة الدولة استنادا إلى أى من هاتين النظريتين أو كلاهما.

ومن هنا جاءت أحكام مجلس الدولة تترى فى التأكيد على أن لكل مواطن الحق فى التقاضى.. هذا المبدأ الضارب فى القدم قدم التاريخ نفسه - إذ عرفه الفراعنة القدماء واتخذوا له إلها أسموه (إله الحق).

جاءت أحكام مجلس الدولة الرفيعة الجليلة لتؤكد الآتى:

أولا: «مبدأ المساواة أمام القانون إذ طبقت محكمة القضاء الإدارى مبدأ المساواة أمام القانون فى العديد من أحكامها ومنها الدعوى رقم ٢ لسنة ٤ ق جلسة ١٩٥١/٢/٦ وتجمل وقائعها فى أن: أحد المواطنين طعن أمامها على قيام المجلس البلدى بنقل المصباح المقام أمام منزله ناعيا.. على هذا القرار مخالفته للقانون على سند من القول بأن منزله يقع داخل كردون المدينة وفى مدخلها وهو يدفع على هذا المصباح عوائدا، كما أن نقله قد أدى بالمنطقة الواقع بها منزله إلى أن يكتنفها الظلام الشديد. قضت المحكمة بإلغاء القرار المطعون فيه بنقل المصباح وقالت فى أسباب حكمها: إن الأسباب التى تذرع بها المجلس البلدى فى نقل المصباح لاتؤدى إلى النتيجة التى ذهب إليها وأن المجالس البلدية يجب أن تراعى المساواة فى توزيع الخدمات أمام الناس».

كما تبنت محكمة القضاء الإدارى مؤيدة من المحكمة الإدارية العليا بذات الاتجاه الذى كفل مبدأ المساواة أمام القانون فذهبت إلى أن تقرير أى استثناء أو تمييز لأحد دون أحد يتعارض مع مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص الذى أوجبه الدستور.

كما أكدت كذلك حق المواطنين جميعا فى عدم التمييز بين المواطنين فى الحصول على التعليم العالى لما أن هذا التمييز فضلا عن إخلاله بمبدأ المساواة فإنه يهدر مبدأ تكافؤ الفرص بين الشباب.

ثانيا: أكد مجلس الدولة على حق المساواة أمام الوظائف والتكليف والتعبئة العامة.

ثالثا: حماية مجلس الدولة لحق الحرية الشخصية التى هى مِلاك الحياة الإنسانية كلها لا تخلقها الشرائع بل تنظمها ولا توجدها القوانين بل توفق بين شتى مناحيها.

وتتمثل حماية مجلس الدولة فى ذلك فى الأحكام والفتاوى الصادرة عنه بشأن الحرية المدنية للفرد وحرية الإقامة فى المكان الذى يحدده الشخص، وعدم جواز إبعاده عنه، وكذا حرية الشخص فى التنقل وحريته فى السفر والترحال، وحقه فى الأمن والأمان. وأسبغ مجلس الدولة الحماية على الحرية الشخصية التى توصدها - الدولة بالأغلال والمتمثلة فى قرارات الإعتقال ووضع الموانع أمام حق التقاضى.

رابعا: كفل مجلس الدولة - منذ ولادته - حق الحرية البدنية وحرية الملبس للمواطنين وطالما لا يتعارض ذلك مع العرف والتقاليد والآداب العامة.

خامسا: صان مجلس الدولة حرية الإقامة باعتبارها أحد صور الحرية الشخصية التى كفلها الدستور لكل مصرى فى الجهة التى يبتغيها.

سادسا: قرر مجلس الدولة لكل المواطنين حرية السفر من مكان إلى آخر باعتبار أن هذا الحق المقرر هو فرع من الحرية الشخصية للفرد لا يجوز الحد منه أو انتقاصه إلا لمصلحة عامة فى حدود القانون واللوائح.

سابعا: تصدى مجلس الدولة لقرارات الاعتقال مراقبا إياها، مفندا جدواها مع بيان مدى مشروعيتها وتعويض المعتقلين عنها سواء من الناحية المادية أو الأدبية.

ثامنا: كما قنن مجلس الدولة الحق فى الجنسية والنسب - للمصريين - بحسبانها رابطة سياسية وقانونية بين المواطن والدولة.

تاسعا: دافع مجلس الدولة عن حرية العقيدة وحرية الرأى بأحكام مقننة من المحكمة الإدارية العليا، ناهيك عن حق حرية الصحافة والنشر وحرية التعبير الفنى.. حتى غدا - بأحكامه التى صارت نبراسا - هو (حامى حمى الحريات فى مصر).

❑❑❑

متحف محمد عبده ..

فى مستهل هذا القرن والناس فى حيرة من أمرها. وظلام المستعمر الإنجليزى يكاد يلف المصريين جميعا بظلاله الداكنة – ظهر رجل استطاع – على قول الدكتور عثمان أمين – بما أذاع من تعاليم خصبة قوية أن يدعم مبدأ الاجتهاد العينى، وأن يحمل لواء الحرية الفكرية، وأن يرفع مرتبة القيم الروحية ،وأن يؤدى للعقل ما ينبغى له من احترام، واستطاع أن يؤيد أمام بطش القوة حقوق الضمير، ومطالب الأخلاق، واستطاع بعنايته الدائمة بألا يفصل الفكر عن العمل ولا العلم عن الدين، وأن يعود بالفلسفة الإسلامية إلى أحسن تقاليدها وأن يفتح لها فى الشرق والغرب آفاقا بعيدة..

ذلك هو المرحوم الأستاذ الإمام محمد عبده الذى مرت بنا ذكراه فى ١١ يوليو الجارى دون أن تنال حقها من التكريم.. ولن نستطيع أن نرد له بعض أفضاله علينا إلا بإقامة تمثال له فى أحد ميادين القاهرة وتحويل بيته إلى متحف دائم..

وها هو ذا أستاذنا «العقاد» يؤلف فيه كتابا الإمام محمد عبده، عبقرى الإصلاح والتعليم، جدير بإمعان النظر فيه، حتى يعلم من يقرأه من هو الأستاذ الإمام وكيف كانت عبقريته فى الإصلاح التعليمى، والتجديد الدينى حتى استقر جل المفكرين على اعتباره أحد فلاسفة التنوير فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

❑❑❑

مبدأ المساواة أمام القانون وأمام القضاء

جاء الإسلام ليضع حدودا ويرسم حقوقا، فلا تكمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجـدت قوة لإقامة الحدود وتنفيذ حكم القاضى بالحق، وصون نظام الجماعة، وتلك القوة لا يجـوز أن تكون فوضى.. فلابـد أن تكون فى واحد وهو السـلطان أو الخليفة. كما عبر أحـد الفقهاء يقول الله تعـالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ [سورة ص – الآية ٢٦].

إذن فالخليفـة هو القاضى.. والقاضى هو ظل الله فى الأرض، ولا يجوز بصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسـلمين بما يسميه «الإفرنج»: الثيوقراطى «أى» السلطان الإلهى. فهو عندهم يتلقى الشـريعة من الله.. وله من الأثرة بالتشـريع.. وله فى رقاب الناس حق الطاعة.. وبهذه المثابة فرضت الكنيسـة فى العصور الوسـطى، حق السـيطرة على جميع مناحى الحياة، قبضتها على البلاد والعباد!.

أما الإسلام فلم يعرف سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير والتنفير من الشر وهى سلطة خولها الله سبحانه وتعالى لأدنى المسلمين يقرع بها أنفس أقواهم.

فالإسـلام لا يعرف تفريقا فى العدل فالعدالة يجب أن تسـود الجميع فقيرهم وغنيهم وأعلاهم وأدناهم.

والتاريـخ يشـهد على ما صنع الخلفاء الأمويون والعباسـيون والأندلسـيون من صنائع المعروف مع العلم والعلماء.

يقول تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [سورة الحجرات – الآية ١٣].

وبهذه المثابة سوى القانون الإلهى فى كتاب المسلمين – كتاب الله الكريم – يبين عباد الله جميعـا.. وإن أكرمهم عند الله ليس بفقره أو غنـاه وإنما بتقواه ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [سورة المائدة – الآية ٤٤] .

وهكـذا جعلت الآية الكريمة الناس جميعا سواسـية أمام القانـون وبالتالى أمام القضاء مسـتمدة ذلك من تعاليم الدين الحنيف، ومن مبادئ الإسلام وقيمه وتعاليمه السمحة، وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يصوب المصيب ويخطئ المخطئ.

وقد التزم عليه الصلاة والسلام بمبدأ المساواة ببن الناس جميعا أمام القانون السماوى، ومن ثم أمام القضاء «فالعدل أساس الملك».

ومبـدأ المسـاواة أمام القانون وأمام القضاء هو فى فحـواه ومغزاه وجهان «لعملة واحدة» فلا قانون بغير قضاء «ولا قضاء بغير قانون».

فقد سـنت القوانين لتنظيم حيـاة الناس زرافات ووحدانـا، ولتعريف كل منهم بحقه وواجبه، فحق الإنسان ينتهى عندما يبدأ حق الآخرين.

فمنذ عهد عهيد فى مصر العتيقة كما أسمى هذه الفترة «فوستيل دى كولانج» – ولعدة قرون خلت كانت الدولة المصرية التى قسـمها المـؤرخ المصرى القديم «ماتينون» إلى ثلاثين أسـرة مصرية ملكية قسـمت إلى عصور ثلاثة: عصر الدولة القديمة وعصر الدولة الوسـطى وعصر الدولة الحديثة.

كان الحاكم المصرى خلال هاتيك الفترات يضع نصب عينيه عن طريق مسـاعديه مبدأ «المساواة» بين المواطنين أمام القانون وأمام القضاء، وتعد قصة.. الفلاح الفصيح التى دونت على أوراق البردى تشهد على أن حق التقاضى فى مصر الفرعونية كان معمولا به قبيل أن تعرف الحضارة الحديثة مبدأ حق القاضى.

فقد يمم هذا الفلاح الفصيح وجهه صوب فرعون مصر يشـكو له اسـتلاب أحد عسـه على ممتلكاته طالبا إعادتها إليه.

وجاءت حقبة من حقب التاريخ سعى فيها «الأشراف» لسلب حقوق مواطنيهم «فاختل ميـزان حق التقاضى» واندلعت الفتن وشـب أوار الثورات التـى اجتاحت البلاد وضيعت حقوق العباد.. وفى هذا سجل أحد المؤرخين ما قاله أحد الحكماء:

غلـت مراجـل، الثورة فـى كل البلاد بحيث سـطا اللصوص على الأغنياء وسـلبوهم أموالهم. وهامت النساء فى الطرقات، وترك القوم الزراعة برغم فيضان النيل لفقدان الأمن والطمأنينة.. وسفك الأخ دم أخيه، وقطعت الطرق، وأخذ اللصوص يترصدون للزراع، فضاع حق التقاضى فى أتون تلك الأحداث.

ولكن ما لبث أن عادت الأمور إلى نصابها، وبدأت ملامح النظام القانونى تتطور وأصبح القانون هو السـائد وأصبح الالتزام به واجبا، حتى إننا نجد أن أحد ملوك الأسـره الثانية عشرة يخاطب وزيره قائلا: «إذا جاءت الخصوم فاعمل على أن يتم كل شىء وفقا للقانون، بحيث يحصل كل شخص على حقه».

وبهذه المثابة تساوى الجميع أمام القانون وأمام القضاء مرة أخرى.

وعندما اندلعت الثورة الفرنسية بمبادئها الثلاثة، كانت «المساواة» أمام القانون «وأمام القضاء» إحدى روافدها، وفى ١٤ يوليو ١٧٨٩ عندما قاد الشاب السائر «كاميل ديمولين» الشعب الثائر، لهدم الباستيل، كان على أساس وجوب أن يرضخ الجميع لمبدأ «المساواة» أمام القانون.

وفى ٢٧ أغسطس عام ١٧٨٩ أعلن المركيز «لافاييت» بيان إعلان حقوق الإنسان الذى ينبغى أن يكون قاعدة الدستور كله وتقول مادته الأولى:

ولد الإنسان حرا.. ويبقى حرا.. «متساوى» الحقوق مع غيره..

وقد حرص الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٨ على تقرير حق الإنسان فى قضاء مستقل محايد بما نص فى المادة العاشرة منه على أن:

لكل إنسان - على قدم «المساواة» التامة مع الآخرين - الحق فى أن تنظر قضيته «محكمة مستقلة» «ومحايدة» نظرا منصفا، «وعلنيا» وأن تفصل فى حقوقه، وأن تقضى فى أية تهمة جزائية توجه إليه بالحق والقانون.

❑❑❑

ما هو الكتاب ؟! ..

فـــى امتحان عقدته مؤسســـة صناعية كبرى، فوجئ الطلبـــة المتحنون، وجميعهم من خريجى كليات العلوم، بالســـيد الممتحن يســـأل واحدا منهم، قائلها ما هو الكتاب وما هو المعنى الذى يميزه عن المجلة!؟.

وعجـــز الطالب عن الإجابة، كما عجز جميـــع الطلبة، عن الوصول إلى الإجابة الثابتة فـــى ذهن الأســـتاذ الممتحن، وعندما طلبوا منـــه أن يدلهم على الإجابـــة الصحيحة، قال الأستاذ: إن الكتاب هو ما شمل موضوعا واحدا.

ومن العجيب حقا أن يكون هذا التعريف للكتاب، هو الخطأ نفسه!

فقد تصدر المجلة شاملة لموضوع واحد، وقد يصدر الكتاب متحدثا فى مواضيع متباينة، ويسمى مع ذلك «كتاباً».

وأود أن أهمس فى أذن هذا الســـيد الممتحن، أن ســـؤاله لـــاذا لم يصل العالم بعد، إلى تعريف محدد له.

فلقـــد تباينت الدول واختلفت فى تعريف الكتـــاب، فعرفته إنجلترا بأنه المطبوع الذى لا يقل ثمنه عن ٦ بنســـات ! وتعرفه إيطاليا وأيرلندا بأنه الذى يجب أن لا تقل صفحاته عـــن ١٠٠ صفحـــة، وترى أيســـلندا أن الكتاب هو المطبوع الذى يحتـــوى على ١٧ صفحة فأكثر.. وهكذا دواليك.

ولقـــد اقترحت هيئة اليونســـكو أخيرا أن يكون تعريف الكتاب هـــو ذلك المطبوع الذى يحتوى على ٤٩ صفحة فأكثر.

أنى لا تساءل.. ألم يكن هناك من سؤال، غير هذا الذى عجز العالم كله، عن أن يجد له إجابة كافية موحدة!؟ إنها ولاشك «حذلقة» من السيد الممتحن، وأصعب ما فى الأمر أن الامتحانات التى تعقدها بعض المؤسسات، لطالبى العمل فيها، تتصف بالجمود، وتهدف دائما إلى التعجيز!.

□□□

ما قل ودل

الأقصر المدينة الأثرية العظمى الجديرة بمكانتنا التاريخية، وحملت إلينا ملايين السياح وملايين الجنيهات، ومازالت على استعداد للمزيد..

ومن حق الحكومة أن نهنئها بتجديد الأقصر، وتخطيط المدينة على أرقى المخططات العصرية، وبذلك تمحو العار الذى يلحقنا من الذين يزورون أثارها ويصعقون لانحطاط مدارها هكذا قدم الأستاذ الكبير «أحمد الصاوى محمد» لكتابى إليه قائلا فى بابه الأغر «ما قل ودل».

«وأمامى رسالة من الأستاذ محمد مرشدى بركات، وكيل نيابة الأقصر الذى يصور البلد القديم الذى آن الأوان لمحوه إطلاقاً».

لقد روعت ودهشت حينما وطئت قدماى أرض الأقصر مشاهدا إياها لأول مرة فى حياتى منذ أسابيع قلائل، وتساءلت فيما بينى وبين نفسى: هل هذه هى مستودع الأسرار ؟ أهنا يرقد الملوك والحكماء من فراعنة مصر وأجدادنا القدماء؟.

أقول لقد أخذنى العجب العجاب إذ أننى رأيت أمامى «مدينة بلا شخصية» ليس فيها مسحة من فن أو لمسة من جمال «والمدن التى بلا شخصية - كما عبر صاحب كتاب المدينة على مر العصور مقضى عليها بالزوال! نيلها الخالد يشق قلبها حزينا مهموما يشكو ما ألم به من إهمال ينظر إلى ماضيه فى حسرة وإعوال! برها الغربى مدينة الموتى - وهو فى حقيقة أمره مثوى الأحياء ينعزل عن برها الشرقى فى خيلاء وكبرياء وليس هناك من رابط يربط ما بين البرين، ولكى يصل المرء إليه لابد وأن يلاقى الأمرين.

إطارها الحديث لا يتناسب مع جلالها القديم.. مبانيها باهتة خالية مما يميزها فلا هى شرقية ولا غربية بل هى مزيج عجيب من الألوان والأشكال والأحجام التى قد ترجع إلى عهد الهكسوس؟! زوارها وضيوفها والوافدون عليها والقاطنون بها يصعب إيصال الخدمات الضرورية إليهم وفى مقدمتها الماء الذى ينساب إليهم مختلطا بالتراب فى لون لم نسمع عن مثيله فى أرض ولا فى سماء ؟!.

❑❑❑

لـو .. عـاد إدوارد لـين .. ؟! إلى الأسكندرية

إنها إحدى مدن (مصر العتيقة) كما وصفها «فوستيل دى كولانج» وعلى غرار تلك القديمة التـى ذكرها «لويس ممفورد» فى مؤلفه القيم « المدينـة على مر العصور «City in History» فهـى مدينة لها تاريخ وذات تاريـخ والتاريخ كما جاء فى قواميس اللغة، هو جملة الأحوال والأحـداث التـى يمر بهـا كائن ما، ويصدق علـى الفرد والمجتمع، وكذلـك على الظواهر الطبيعيـة والإنسـانية. أما التاريخ، فهو تسـجيل لهاتيك الأحـوال، والأحداث، والظواهر التاريخية المصاحبة لها.

وقد تواترت جملة أخبارها وسجلت جميعها فى تواليف، ومدونات المؤرخين، والرحالة العرب، والأجانب على السواء.

كتب «ابن زولاق» يقول عنها فى كتابه «فضائل مصر وأخبارها وخواصها»:

ومنهـا «اسـكندرية» وعجائبها، ومنارتها طولها مائتا وثمانـون ذراعا، وفيها المرآة التى يرى فيها كل من يمر بالقسـطنطينية .وكان بها عيد يعمل كل سـنة يترامون بالأكره، فمن وقعت فى كُمه ترشح للملك، وكُتب اسمه، ومن هذا كان سبب ولاية عمرو بن العاص، لأنه حضـر هـذا العيد فى الجاهلية، وكان عمرو فى النظـارة، فوقعت الأكرة فى كمه، فعجبت الروم والقبط من ذلك، وقالوا: وأنى لهذا العربى أن يتملك مصر! فلُم ذلك فى نفسـه إلى أن كان من أمره ما كان!.

ويذكـر «تقى الدين المقريزى» فى كتابه «تاريخ الأقبـاط»: أنه بعد الفتح العربى لها علم الأب «بنيامين» بدعوة عمرو بن العاص له ليؤوب إلى الإسـكندرية بعد غيبة له عنها دامت ثلاثة عشر عاما أمضى منها عشر سنين أثناء حكم «هرقل» والثلاث الباقية أثناء الفتح العربى إلى أن أبلغـه «سـانتيوس» بدعوة عمرو له للعودة إليهـا، وإذ حضر أكرمه «عمرو» وبالغ فى الحفاوة به ووسـده رئاسـة الكنائس ليرعى أحوال الأقباط بالإسكندرية وكان من نتائج عودة «بنيامين» إلى كرسى البطركية أن رجع كثير من الأقباط إلى المذهب الأرثوذكسى بعد أن كانوا قد نبذوه نتيجة لاضطهاد «هرقل» لهم والذى كان قد هدم الكثير من الكنائس والأديرة ومنها كنيسـة «مارى مرقص» الشـهيرة الموجودة بها والتى بنيت فيها بين عامى ٣٩هـ، و٥٦ هـ

زمن البطريرك «أغاتو» البطريرك التاسع والثلاثون فى خلافة معاوية ابن أبى سفيان.. وبعد أن أصبح الإسلام دين الغالبية العظمى فى مصر.

ويسجل ابن عبد الحكم ـ أول مؤرخ لمصر الإسلامية (١٨٧ – ٢٥٧هـ: ٨٠٣ :٨٧١) فى مؤلفه «فتوح مصر والمغرب» عندما نزلت الروم إلى الإسكندرية وكان «عثمان بن عفان» قد عزل عمرو بن العاص، وولى عبد الله بن سعد، فسأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم فإن له معرفة بالحرب وهيبة فى العدو ففعل.. وأمعن عمرو فى قتلهم .. ثم رفع السيف عنهم وبنى فى ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف مسجداً وهو المسجد الذى يقال له «مسجد الرحمة».. وإنما سمى ذلك لرفع «عمرو السيف» هناك.

كما جاء فى كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر «للمسعودى»: «وكان الإسكندر بن الفيلقوس المقدونى قد بنى الإسكندرية على خليج من النيل، فوصل أسوان بها. وحكى عنها «ابن جبير» فى رحلاته، مشيدا بهوائها العليل، ونسميها البليل، وكذلك كان الأمر معها فى روايات المؤرخين العرب العظام أمثال «الطبرى»، و«البلاذرى» فى سفره «فتوح البلدان» ناهيك عن «ابن البطريق»، و«أبى الصلت» وكذلك «السيوطى»، قطب الموسوعات العربية والإسلامية الذى أشاد بها متعجبا من فنارها، و «السلفى» الذى وفد إليها فى سنة (٥١١ هـ – ١٤٤٥م) واستقر بها زهاء ثلثى قرن إلى أن توفى عام ١٥٠٥م أما «الواقدى» فقد كتب كتابا عن «فتح مصر والإسكندرية» هذا بالإضافة إلى ما جمعه عنها «ساويرس ابن المقفع» «أسقف الأشمونين».

وفى يوم الاثنين الثامن عشر من يوليو ١٨٢٥ أبحر المستشرق إدوارد وليم لين. من بلده انجلترا ميمما وجهه شطر الأسكندرية، قاصدا إياها بطريق البحر على مركبه الشراعى «Findlay» منطلقا به يخوض عباب اليم. وبعد رحلة شاقة دامت حوالى شهرين لاحت له الإسكندرية على بعد سبعة فراسخ تقريبا، تظهر له معالمها واحدا إثر واحد، وقد انتابته مشاعر يختلط فيها الاهتمام بالقلق العميق يحد من بهجة هاتيك المشاعر التى تموج فى داخله، فكان يشعر فى خلجات نفسه وطيات قلبه بما شعر به «العريس الشرقى الذى يوشك أن يرفع النقاب عن وجه عروسه التى لم يرها بعد»، وشاهد عن كثب – وهو لما يزل يمتطى ظهر الماء – برج «أبو صير»، ذلك البرج الرومانى القديم الذى يقع غرب الإسكندرية، حقيرا متهدما.

ثـم دفع بنظره إلى الأمـام فإذا بقلع ضخم يمثل عمودا عظيما يطلـق عليه الرحالة عمود «بمبى» وهو المعروف عند المصريين بـ «عمود السوارى».

ورمى ببصره إلى اليمين فلم يلبث أن رأى قمة تلال شـامخة من «النقاية» يعلو كلٌ منها حصنـا، وإذ نزل إلى اليابسـة، وحط بقدميه فى المدينة يجـوس خلال أرضها، ألفى مظهرا غريبا لحارات ضيقة، وقد انتظمت الدكاكين على جانبيها ورأى أهل البلاد، وشاهد العباد، الذيـن يختلـط بهم الحابل بالنابل من الأتراك، والمغاربـة، ناهيك – بداهة – عن المصريين وقد أطلقوا لحاهم فهذا بدوى مسـفوح، فى وجهه قتامة، وفى نظراته جسـارة، وذاك يتدثر «بحِرام» من الصوف كما بدا له التناقض البين الصارخ بين ملبس الطبقة الدنيا، كذلك المرأة الملتفة فى خمارها القاتم، والجتدى المتسـكع وقد تمنطق بطبنجته، وسيفه، والطفل العارى الذى أثقل الإملاق ممشاه. وبين هذا وذاك، الحشد الحاشد من السابلة، بين راجل، وراكب فوق حمار، أو جواد، وثمة جمع يقبع فوق البغال، وتلك قافلة تحمل قرب الماء على ظهور الجمال، تمشـى بخطى وئيـدة حذره.. يصيح من عليها تارة بعد تـارة ،وحينا بعد حين، محـذرا ومنبهـا بالعربية، والتركية، والإيطالية.. تلك اللغات التى كانت سـائدة فى البلاد حين ذاك.

ودأب «لين» على الجول والصول فى أرجاء الإسـكندرية، وشـوارعها على نحو ما ذكر الأستاذ القدير طاهر نور فى ترجمته لحياة وآثار «لين»، وسرعان ما أدرك أنها ليست بالمدينة التى خالها، فأحس بخيبة الأمل، بعد أن رآها حينا من على متن البحر، ثم شـاهدها مرة أخرى على ظهر البر، فشـد الرحال إلى القاهرة «المحروسة» عن طريق ترعة المحمودية مارا بمدينة «فوة» التى ذكرها ووصفها، فما كان الآثار القديمة المتناثرة بالإسـكندرية لتغريه على البقاء فيها. كما عبر «لين» فى كتابه «وصف مصر» «Description of Egypt» وهو يختلف – بداهـة – عـن الكتاب الآخر ،وصف مصر «Description De l'Egypt» الذى ألفه علماء الحملة الفرنسية برئاسة «جومارا» عن مصر.

ولكم تمنينا أن يكون «إدوارد لين» لما يزل على قيد الحياة، أو يبعث من رمسـه، ليرى بنفسه، نواحى الجمال، ومناحى الجلال، الذى أشرق به وجه الأسكندرية، فأصبحت كما كانت فى الماضى غير البعيد – عروس البحر الأبيض المتوسط – بادية الحسن، رائعة البهاء، فى كل صبح ومسـاء، فقد أقبلت الدنيا عليها بعد أن ذاقت وبال حكامها، وكانت عاقبة

أمرها خسـرا، فأزرى بها البلى، وغاض الرونق وأمسى ذكرى. وشربت كأس التخلف حتى الثُمالـة.. إلى أن جاء إليها «موسـاها» بعصاه – فتبدل حالهـا ومآلها، وأقبلت الدنيا عليها دون أن «تعيرها محاسـن غيرها». وأشرق سناها فأعاد سيرتها الماجدة، فمن رغب فيها أتى إليهـا، وأقبل عليهـا الوفود زمرا، من كل فج عميق، فأضحـت تضحك، بعد أن كانت " رهينة محبسين" من أعتلال وإهمال، تبكى حتى تمسى لما أصابها من محن وإحن، وازدانت بجمال ثيابها، وأظهرت لين إهابها، وانطلق لسانها – يقول بعد أن فاح عبق عطرها وزهرها وأمسى الناس يرجون شمسها وظلها: علام نام الناس عن «تمداحى»؟!.

فها هى ذى الإسـكندرية التى أسست بأمر من «الإسكندر الأكبر المقدونى» ابن آمون كما وصفه كهنة مصر، فى غضون القرن الثالث قبل الميلاد، بعد أن غزاها منهيا بغزوه لها حكم الفرس عام ٣٣٢ قبل ميلاد «السـيد المسيح»، متخذا منها عاصمة للحكم اليونانى مخلدا بها اسمـه. وقيـل – كما دون «المقريزى» – أنه قد وجد فـى تخومها تابوتاً من النحاس بداخله تابـوت من الفضة، وطيه تابوت من الذهب، ففتـح، فوجد فيه مكحلة من ياقوت أخضر، مرودهـا عـرق زبرجد، فدعا القائم عليها، فكحل إحـدى عينيه، كما قيل عنها أنها بنيت بالرخام الأبلق يعجن كالشمع.. وأنها بعد ذلك أمست فى خراب ثلاثمائة سنة.. ها هى ذى تبنى وتشيد كأعظم ما يكون البناء، وأفخم ما يكون البناء، وأروع ما يكون التشييد مستعيدة سـابق مجدها حيث كانـت جامعتها ذات يوم أكـبر جامعة عرفها العـالم القديم يتواكب عليهـا المفكرون والعلماء، والفلاسـفة والأدباء من شـتى أنحاء الدنيـا، وازدهرت بها علوم الفلك والجغرافيا والنبات والحيوان والطب والتشـريح والجراحة والرياضيات، وكان لعلمائها الفضـل فى التوصل إلى الحقائق العلمية والمبادئ الفلكية مثل دوران الأرض حول الشـمس، وتقدير محيط الكرة الأرضية، وكان من أشهر علمائها «إقليدس» عالم الهندسة، و «بطليموس» الجغرافى، والمؤرخ المصرى الشهير «مانتيون».

وها هى ذى الأسكندرية التى كانت – بعد أن وصل (البطالمة) إلى سدة الحكم، ومن بعدهم الألبانى محمد على – أهم مدينة تجارية فى العالم، تعود إلى سـابق عهدها، فتصبح موئلا للتجارة وواجهة للحضارة، كما كانت ذات يوم بعيد مركزا (للحضارة الهيلينستية).

وهاهى ذى (مكتبتها) ذات التاريخ العريق والمجد العتيق والتى كانت أول مكتبة حكومية عرفها العالم حيث أنشأها بطليموس الأول لتكون مصدر إشعاع ثقافى وعلمى تشع بنورها على

أرجاء البسيطة، والتى كانت تحوى بين جنباتها، مجلداتها، وكتبها، وأسفارها التى لا تعد ولا تحصى تفتح أبواب علمها ومنافذ حكمتها من جديد لكل من يرغب فى أن ينهل من معينها الذى فاض على العالم كله ذات يوم بعلمائها وفلاسفتها ومنهم أنطوليوس، وأراطس، وماريا، وثيودوسيس، وأوسلا، وبندقليس، و بطليموس وجالينوس ،الذى بها تعلم ومن كتبها أخذ، وغيرهم من الفلاسفة والعلماء، تنبئ عن المجد التليد، وتؤكد الحاضر السعيد، مرهصة بتباشير المستقبل العلمى المجيد، فقد ولدت عملاقة كما كانت بما تحويه من جماع ما أنتجه العلم وأفاء به العقل البشرى سواء أكان تقليديا أم إليكترونيا من شتى الحضارات القديمة والحديثة، وبجميع لغات الأرض.

وها هوذا «فنارها» الذى كان إحدى عجائب الدنيا السبع والذى كان معروفا باسم «فاروس»، والذى قاوم شراسة البحر وضراوته حتى القرن الرابع عشر، يوشك أن يعود إلى سابق عهده، ويستعيد سابق مجده، فيحول غلس الليل لمن يركب البحر فى ظلمته، إلى نهار!.

ها هى ذى الإسكندرية التى شهدت قصة الحب الخالدة بين «كليوباترا السابعة» آخر ملوك الأباطرة ء و«أنطونيو» القائد الرومانى الأشهر، وانتحرا كلاهما بعد هزيمتهما فى معركة «أكتيوم» وقيل إن كليوباترا قد أقدمت على ذلك حتى لا تسير وهى الملكة المصرية المتوجة، أسيرة فى شوارع روما مع غيرها من الأسرى، والتى خلد «شكسبير» قصتهما مع الإسكندرية فى رائعته «يوليوس قيصر» وناجاها أمير الشعراء أحمد شوقى وهو فى منفاه بالأندلس فى «سينيته»، مخاطبا إياها:

نفسى مرجل وقلبى شراع بهما فى الدموع سيرى
واجعلى وجهك (الفنار) ومجراك وأرسى يد (التغر) بين رمل ومكس

ها هى ذى الإسكندرية، «مدينة المدائن» تدعو التاريخ – وهى المدينة الخالدة الثاوية فى بطنه – إلى أن يسطر عنها مجددا فهى تصحو والناس نيام، وتستقبل الأنام.. زرافات ووحدانا بالبشر والترحاب. من يفارقها يعاودها ويحن إليها، والدموع وهام!.

❑❑❑

لمن تُدق الأجراس ؟!

خفق قلب مصر! وعندما يخفق قلب مصر يخفق معه قلب العالم العربى والإسلامى، وعندما يخفق قلب مصر فإن ذلك يعنى أن مصر قد فقدت ابنا بارا من أبنائها العظام.

رحل عنا الإمام الشعراوى.. وغاب! وذهب بعيدا دون إياب بعد أن دانت له الإمامة فى أفاق الدنيا وفى أفاق الدين، بصبر السنين وتغضين الجبين، وذاع صيته وشاع فى الأقطار والأمصار، بعد أن بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، وكان عطاؤه فى خدمة دين الله، على قدر عظمته عطاء جامعا مانعا.

جلست إليه بصحبة تلميذه المستشار محمد عبد المنعم الفقى قبيل وفاته بأسابيع قلائل حاورته وحاورنى، وسألته فأجابنى وما وجدت منه إلا أدبا، وعلما وتواضعا، وحلما وذكاءا وقادا وعقلا وهاجا، والناس تتقاطر عليه، منهم من أشكل عليه أمر فهُرع إليه ومنهم من ألم به ألم جاء ليلقى به عليه ،وما أكثر ذوى الحاجة الذين وقفوا بها بين يديه وهو يجيبهم جميعا إلى طلبتهم، يفرج بها كربتهم، فهو عبد من عباد الله أتاه الله بسطة فى العلم وفضلا من لدنه فيعطى لمن يطلب مما وهبه الله، فهو أولا وأخيرا من عند الله.

علم الناس معنى الفقه، ومعنى الحديث وجدد الله سبحانه وتعالى دينه على يديه ،وفاز بمحبة الناس جميعا بأصغريه «قلبه ولسانه» وأسس للقرآن الكريم جامعة عالمية، علم فيها الملايين ممن كانوا يرهفون أسماعهم ويشخصون بأبصارهم إلى يوم لقائه معهم من شتى بقاع الأرض يحدثهم ويعلمهم بأسلوبه المتفرد الفرد، آداب الإسلام وتعاليمه، وأسرار كتاب الله وما استغلق عليهم من مفهم وإفهام، فكان رجلا فى أمة وأمة فى رجل.

ثم جاء يوم الرحيل ورأيت عن كثب.

كما شاهد الملايين عبر التلفاز كيف زحفت الجموع الهادرة ونزحت دانيها وقاضيها من شتى ربوع مصر لتوديع ابن مصر البار الذى نُقل إلى الله، ولم يرجوا أحداً سواه.

وفى خضم هذا البحر اللجى تَبين صورة لا تفارق العين وتظهر بجلالها للناظرين إخوتنا المسيحيين إخوة الدين والوطن الذين قالوا إنا نصارى وأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وتفيض أعينهم من الدمع، لتوديع شيخ الإسلام، وأجراس الكنائس تدق دقا رتيبا حزينا وكأنها جاءت هى الأخرى لتوديع الإمام.

هذه هى مصر بعنصريها حزب واحد وهو حزب الله ترسل عبر الأثير رسالة للعالم أجمع رسالة، لا لبس فيها ولا غموض لكل من سولت أو تسول له نفسه، أن يقول إن فى مصر أقلية وأغلبية، وإن فيها مسيحيين ومسلمين.

ومنذ متى لم تكن مصر كذلك؟ ألم يخطب (سرجيوس) فى الجامع الأزهر الشريف إبان ثورة ١٩ ضد الإنجليز (المسيحيين) المستعمرين؟.

ألم يقل سعد العظيم لملك مصر فؤاد عندما اعترض على تعيين وزيرين مسيحيين فى وزارته، ومع اعتراضه وامتعاضه قال له سعد زغلول: إن رصاص الإنجليز حينما انطلق إلى قلوب المصريين لم يفرق بين دم مسلم ودم مسيحى؟.

وأنظروا معى واقرأوا هذه الشذرات المتفرقات التى رثى بها الإخوة المسيحيون الأمام الراحل.

قال القمص مرتضى عبد المسيح راعى كنيسة السيدة العذراء.

كنت أطالع ما كتبه عن تفسير سورة «الكهف» كنموذج من كتاباته ونحن نشاطر العالم الإسلامى حزنه ونذكر نشاطه الدؤوب فى الدعوى إلى الدين الحنيف.

وقال ممثل مجلس كنيسة العذراء مريم، الأستاذ جميل زكى حنا إن هذا (الحادث)، ولاحظوا معى كلمة (الحادث) المؤلم خسارة للإنسانية.

ثم هاهوذا قداسة «البابا شنودة» – فيما نشرته الأخبار – يخرج من سرادق العزاء وعيونه تكشف عن دموعه والحزن يرتسم على محياه، قائلا: لقد تأثرت كثيرا أمس واليوم وغدا بوفاة صاحب الفضيلة العالم الجليل والإمام الورع، لقد كان رجلا محبوبا من الله ومن الشعب وعاش فقيها مخلصا وصالحا.

ويا من تجرأتم واجترأتم على مصر ذات يوم قريب، وأردتم أن تثيروا فيها فتنة.. لن كانت تدق الأجراس، إنها تدق لكى تنعاكم؟!

ومعذرة للكاتب العالمى أرنست هيمنجواى.

❑❑❑

كفافيس.. عاشق الإسكندرية ..

كانت الإسـكندرية تموج بدءا من نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية النصف الثانى من القرن العشرين بنهضة صحفية وإشراقات أدبية وتألقات مسرحية تمثلت فى هذا الزخم الذى انسـاب إليها زرافات ووحدانا متمثلا فى من هاجر إليها من بلاد الشام أو الأجانب أواليونانيين أو اليهود أو غيرهم ممن اتخذوا الإسكندرية لهم مقرا ومكانا.

كنا نقيم فى الإسكندرية فى بداية النصف الأول من القرن العشرين إقامة دائمة منتقلين من حى إلى حى فمن الرصافة إلى محرم بك حتى استقر بنا المطاف إلى حى الإبراهيمية هذا الحى الراقى الجميل الذى كان يمتلئ بالصفوة من أهل الإسكندرية.

كنـا نقطن عمارة «عريضة» التـى تطل على البحر فى الطابق الـذى يعلونا «إسماعيل يس» الذى كثيرا ما كان يداعبنا ونحن صغارا، كنا نمرح ونرتع على شاطئ البحر الملاصق لنا حيث كانت الشـمس تخرج من خدرها صباحا وتتوارى بقرصها الأحمر الذهبى مساء، ونحن إما نغوص فى مياه بحرها أو نتملى بالنظر إلى جمال غروب شمسها، ولا نؤوب إلى بيتنا الذى كان بيننا وبينه خطوات جد يسيره إلا بعد تأكدنا أن قرص الشمس قد سقط فى قـاع البحر، ولم تكن الحرب العالمية الثانية قد وضعت أوزارها وكان أزيز الطائرات يقرع أذاننـا فى غلـس الليل حيث الطائرات المغيرة على مدينة الإسـكندرية، وحيث صافرات الإنـذار تنذرنا بين الحين والحين بوجوب إطفاء الأنوار، والهرولة إلى المخابئ التى كانت تنتشر بين أرجاء الإسكندرية مخافة أن يحدث ما لا يحمد عقباه.

مع ذلك لم يكن مسرح «إسماعيل يس» يتوقف. وكذلك مسرح «يوسف بك وهبى» الذى أذكر أن جدى عليه رحمة الله – قد اصطحبنى إلى مشاهدة مسرحيته «كرسى الإعتراف» يتجاذب فيها يوسف وهبى أطراف الحديث مع زملائه من الممثلين باللغة العربية المتعمقة بالفصحى وهو يرتدى مسوح الرهبان السوداء.. ولم أفهم منها إلا أقل القليل؟!.

وكانـت الصحـف تصدر آنذاك بكثرة متتالية بعضها وراء بعـض، وأذكر أن كان منها البصـير والزمان والبلاغ والنـداء، ناهيك عن بعض الصحف الأجنبية التى كنت أراها بين يدى والدى، غفر الله له.

فى هذه المدينة الساحرة توطدت أسرته فى الإسكندرية، وتوطدت علاقة عائلته بأهلها و ناسها، فقد كانت هى «الفردوس المفقود» الذى مازال يبحث عن داريل، وفورستر، وكفافيس، على حد تعبير الأديب الأستاذ «علاء خالد» فى كتابه الجميل» وجوه سَكندرية.

أكب «كفافيس» على قراءة الأدب الغالى، ونهل من مناهل الشعر الأوربى، وكذلك الشعر اليونانى، وعلى الأخص «سفر تونسيوس سولوموس» الذى أصبح فيما بعد الشاعر القومى لليونان، وعمل بصحيفة تلجراف السكندرية، وأصبح جل اهتمامه موجها لكتابة القصائد الشعرية والكتابات النثرية، كما عمل فى مصلحة الرى المصرية، وأحيل إلى التقاعد عام ١٩٢٢.

وقد نشرت مجلة «Crammat» التى تأسست عام ١٩١١ الكثير من قصائد وترجمت إلى الفرنسية والإيطالية والألمانية والإنجليزية.

وإذ حضر م. فورستر إلى الإسكندرية مراسلا لصحيفته لينقل إليها أخبار الحرب العالمية الأولى وما أن تكون الإسكندرية قد تأثرت به من جرائها، فقد عرف قلبه صداقته لها، أصبح «كفافيس» فيما بعد إحدى الشخصيات الأدبية القليلة التى يحرص زائروا الإسكندرية من جميع أرجاء الدنيا فى الالتقاء به، حيث كان يملك قدرة فائقة على الحديث عن الشخصيات التاريخية التى تنتمى إلى الماضى السحيق.

ومن المعروف إنه قرض الشعر وهو لما يزل بعد غض الإهاب لم يتجاوز سنه العشرين عاما.

ضاق منزله بالكتب التى كان يقتنيها حتى ضاق المكان بها وبه، وكتب عن نفسه يقول: «الكثيرمن الشعراء شعراء أما أنا فشاعر مؤرخ أنا لا أستطيع كتابة رواية أو مسرحية، ولكننى أشعر بداخلى بما يربو على المائة شخص يخبروننى أننى بارز على كتاب التاريخ.. ولكن لم يعد هناك المزيد من الوقت»، هذا بعد أن ترك للبشرية ثورة ضخمة من شعره ونثره الذى قام بترجمته الأستاذ «رفعت سلام» تحت عنوان «الأعمال الشعرية الكاملة قسطنطين كفافيس»، ومثل هو وزميلاه فورستر، و «داريل» – صاحب الرباعية المشهورة.. رباعية الإسكندرية – هؤلاء الثلاثة الأشهر فى حب الإسكندرية، وفى التغرد بها.

وفى غضون شهر نوفمبر ١٩٣٢ ظهرت عليه علامات المرض فرحل إلى اليونان لاستشارة أطبائها فيما اعتوره من مرض ثم آب إلى الإسكندرية حتى قضى نحبه فى ٢٩ أبريل ١٩٣٣ الكائن بالشارع الذى يحمل اسمه الآن.

ويوجد له الآن متحف بالإسكندرية حيث ابتاعت القنصلية اليونانية بيته وحولته إلى مزار يرتاده الجميع من كافة أرجاء الدنيا حوى بين جدرانه مقتنيات وآثار هذا الشاعر الفذ.

❑❑❑

حدث .. ذات ليلة .. ؟!

الليـــل ليل داج ليل قر. والريح ريح صر. المطر يهمى من سماء الإســكندرية فى تتابع مستمر. تتساقط ندف الثلج فوق رؤوس الأحاد والجماعات من المارة فى تلك المنطقة الثانية من مدينة الثغر. على أحد الأفاريز راح شــاب فى مقتبل العمر يزرع الطريق جيئه وذهابا. جســمه النحيــل لايقوى على تحمل لذعــة البرد القارص ضاعت منه معــالم الطريق. أين كان؟..من أين جاء؟.. وإلى أى مقصد كان يتجه؟.. لايدرى؟. وأنى له أن يخْبر ذلك، فلقد توقف عقله تماما عن التدبير وشل عن التفكير. تفصد العرق غزيرا من جبينه. كيف؟ ومع زمهرير البرد.. لا يعرف؟ فقد انقض عليه دوار لم يعهده من قبل. زلزله زلزالا شديدا.

دار أمجد حول نفســه فانزلقت قدماه وســقط أرضا فى هذا البحر اللجى من المياه التى تجمعــت من جراء المطر الحاد العنيــف المنهمر الذى دأب على ذلك فى مثل هاتيك الأيام من شهر يناير من كل عام، منذ سنين عددا.. أيام طوال. والحال على هذا المنوال. لم يفُق إلا بعد أن ألقى نفســه محوطا بعدد من الرجــال ذوى الثياب البيضاء. ثم عاودته الغيبوبة مرة أخرى فراح فى سبات عميق من النوم وغاب عن الوجود.

عبثا حاول الأطباء أن يكتشــفوا من هو؟ أو أن يعرفوا اسمه أو أن يســتدلوا على عنوان بيته الذى يقطن فيه. ذهبت جميع محاولاتهم أدراج الرياح. كانت جيوب سترته قد خلت مما ثبت هويته أو شخصيته فقد فقدت منه بطاقته منذ شهور خلت إثر نوبة من النوبات التــى كانت تنتابه عقب تناوله لهذا المخدر الذى اعتاد عليه مع قرناء الســوء الذين كانوا يلازمونه كظله مســتغلين صغر ســنه وبســطه العيش التى كان يعيش فيها وبين ظهرانيها وإنعدام ثقافته.

بينمــا كان يرقد على أحد أَسِــرة المستشــفى التى نقل إليها كان والــده وكذلك والدته قــد هدهما الهم، ونال منهما الغم، واعتورهما إحباط شــديد اعتصر قلبيهما اعتصارا فمنذ أن غاب وحيدهما أمجد ولم يعد، وفشــلت جميع المحــاولات للعثور عليه وهما على هذا الحال، فقد رزقا بابنهما هذا بعد ســنوات طويله من زواجهما وأحاطاه بكل عناية وشملاه بشــتى أنواع الرعايــة كان كلاهما يؤمل أن يراه فى مركز عــال مرموق.ولكن – هاهى ذى – المخــدرات القاتلــة تحيط به من كل جانب بعد أن عجز الأب وكلت الأم عن إثنائه عن تعاطــى التبغ الذى دأب على أن يتعاطاه والذى قاده فيما بعد لإدمان تلك المخدرات. بذلا

كل جهد، وسعيا ما وسعهما السعى ولجئا إلى الترغيب والترهيب دون أن يصلا به إلى بر الإمـان وهـا هى ذى النتيجة الطبيعية، غياب الابن دون أن يعرف أى إنسـان أين ذهب وما الذى دفعه لهذه الغيبة التى طالت واستطالت.. دون إياب!.

كان الإدمان قد استبد بأمجد وأوصله إلى حالة شاذة غير طبيعية فلم يكن يمر عليه يوم أو يومـان إلا ويقع صريع الحاجة إلى المخدر الذى أضحى يجرى مجرى الدم فى جسـمه مما كان يدفعه دائما إلى طلب المزيد من المال من أبيه، لكى يسـتطيع الحصول عليه، فإذا امتنـع الأب، يمم وجهه شـطر الأم، وإن تقاعسـت الأم عن إجابتـه لطِلبته، مد يده إلى الأصدقاء يستدين منهم لكى يواصل السير فى الطريق الذى رسمه المخدر له.. طريق المرض والفشل وغياب الذهن وتشتت الذاكرة حتى أمسى ،وقد كان شابا يافعا سليم الجسم صحيح البدن متألق الذهن فإذا به يمسـى هزيلا مريضا مضطربا لاعقل له ولا كيان أو هو كما عبر أحد الفلاسفة «ريشة تذروها الرياح»!.

تحجـرت الدموع فى عين المهندس أحمد وأخذت الذكريات تقوده إلى اليوم الذى رزقه الله فيـه بابنه الوحيد وكيف كان سـعيدا بمولده وكيف كانـت الفرحة ترقص فى عينيه وعينى والدته التى تكالب عليها الناس الأقارب والأصدقاء يزجون لها التهنئات مباركات على مولودهما الذى جاء إليهما بعد طول انتظار.

توقفـت الذكريـات عند اليوم الذى فجع فيه بما علمه من والدته أن ابنها الذى لما يزل فـى ربيع عمره يدخن وأن لفافه التبغ أصبحت تلازمـه كظله.. يومها اصطحبه والده إلى شـيخ الجامع لكى يسـدى إليه نصائحه لإبعاده عن هذا الوافـد الجديد عليه لفافة التبغ وتداعت الذكريات فى عقل الأب فتذكر كيف ظل إمام الجامع الشـيخ أسعد يعظه وينبهه إلى خطر هذا الأمر على صحته.. على قلبه وعقله مؤيدا مواعظه بآراء الأطباء الذين أجمعوا – من شـتى البقاع والأصقاع على أن السـيجارة تؤدى إلى مزيد من الأمراض لمن يتعاطاها آخـذا فى تكـرار ما يقوله: يا بنى إن هذه العادة عادة سـيئة قمين بك وبأمثالك أن تكفوا عنها.. وإلا فالالتهاب الرئوى، والعقم، والسـرطان بأنواعه فـى انتظار من يدأب عليها، ويمضى فى الطريق إليها.

وواصل الشـيخ حديثه إليه.. كما وأن الدين يحرمها، ويجرمها لأنها تضر بالإنسـان ضررا بالغا، إن لفافة التبغ فيها السـم الزعاف فهى تسـمم جسـم الإنسان وتسلبه محجة الصواب لأنه يبدد أمواله عليها والدين يقول: (لاضرر ولا ضرار). ناهيك عن أن لفافة التبغ هذه كما تضر صاحبها فإنها توقع الضرر على الآخرين الذين نجاهم الله منها فهم يتنفسون

ما ينفثـه المدمن من دخـان هذه اللفافة اللعينة فيصبحون هم الآخرون وكأنهم يدخنون لأن المدمـن لايؤذى نفسـه فقط بهـا بل يوقع الأذى بغيره الذين لاذنب لهـم إلا أنهم خالطوه وجالسـوه وذكرَّ الشـيخ، أمجد بالفتوى التى صدرت من فضيلة مفتى الديار المصرية والتى توصم المدمن بوصمة الكفر، فإن الله سـبحانه وتعالى قد وهب الانسان العقل لكى يقوده إلى الخير لا إلى الشـر، وإلى أن ينفع نفسـه لا أن يضرها. يومها خرج الأب من صحن الجامع متأبطا زراع ابنه أمجد الذى ظهرت على قسـمات وجهه البرئ اقتناعه بما قاله الشـيخ.. ولكن - ها هى ذى أمه تخبره بعد قليل من هذه الزيارة. والأسـى يستبد بها أنها عثرت على علبة تبغ فى جيب ستره ابنها.

أخذ شـريط الذكريات يتداعى فى ذهن الأب المكلوم دون توقف، أما الأم فقد انسـابت الدمـوع من مآقيها منذ غياب ابنها ووحيدها وظلت هكذا وكأنها نهر يجرى حتى حفرت الدموع فى خديها خطين مميزين يسيل فيهما الدمع الثخين.

عجزت الشـرطة عن معرفة أى خيط يقودهـا إلى معرفة ما جرى للابن المفقود، وكذلك كان الأمر مع أصدقاء أمجد وزملائه وأترابه فلا مخفر الشـرطة نجح فى الاسـتدلال على ما جرى له، ولا المستشفيات عثرت على اسمه بين النزلاء بها، مما زاد الأمر تعقيدا. طفق الجميع يبحث عنه دون جدوى!.

فى مستشـفى الدكتور حسـين كان المريض المجهـول يفيق من حالتـه التى انتابته، ويسترد عافيته رويدا رويدا بعد أن أحاطت به رعاية الله التى استجابت لدعوات والديه، وأخذ يتذكر ما جرى له فى الليلة الليلاء منذ شـهور ثلاثة خلت.. لقد دعاه صديقه فؤاد إلى جلسـة من تلك الجلسـات المشـبوهة والتى يتناوب فيها الجلسـاء تعاطى المخدرات واستجاب أمجد لدعوته وشد الرحال إلى المجلس اللعين فى ضاحية أبى قير بالإسكندرية حيـث انفض المجلـس فى الهزيع الثالث من الليل وإذ خرج أمجد من بؤرة الفسـاد هذه بعـد أن ذهـب كل صاحب له إلى وجهته، كان قد تعاطى كمية كبيرة من المخدرات، أراد أن يستقل عربة أجرة إلى حيث يقيم بناحية الإبراهيمية، ولكن المطر الشديد الذى حاصره كان ينزل على أم رأسـه جعله يترنح كما أن السـابله تفرقوا جميعا تحت وابل المطر الذى كان يتسـاقط عليهم مدرارا وكأنه أفواه القرب. هُرعوا إلى المظلات الواقية التى تمثلت فى أسـقف العمارات والنوافذ، أما أرتال السـيارات بما فيها عربات الأجرة فقد غيرت سيرها أو توقفـت تماما عن السـير خوفا من بطش المياه بها. أما هو فقـد حاول النزول من أفريز

الطريق فانزلقت قدماه من جراء امتلائه بمياه المطر وكان المخدر قد فعل فعله معه فأصيب بدوار قاتل ووقع أرضا. فى تلك اللحظة كان الدكتور حسين مستقلا سيارته متوجها بها من مدينة الإسكندرية إلى مدينة (أدكو) – إحدى أعمال محافظة البحيرة – فألفى أمجد مرميا على أرض الشارع فتوقف بسيارته وحمله إليها إلى المستشفى الخاص به بمدينة أدكو والتى تبعد عن الإسكندرية حوالى ستين كيلو مترا وعن طريق الأطباء الذين عاونوه فى الكشف على أمجد علم أنه من المدمنين – حاول معرفة هويته فلم يستدل عليها منعته الغيبوبة القاتلة التى كانت قد ألمت بأمجد عن معرفة شخصية أو الإستدلال على عائلته. آثر كتمان الأمر فلم يبلغ الشرطة. أشرف على علاجه بدأب وإخلاص لوجه الله الكريم. وصل به إلى بر الأمن والأمان. بدأ المريض يفيق أخذت الذاكرة تعود إليه شيئا فشيئا. تذكر أمجد والديه. طلب من الدكتور أحمد أن يصحبه إليهما. دق باب المهندس أحمد.. بيد مرتعشة مدت الأم أصابعها لكى تفتح الباب للطارق.. فوجئت بابنها احتواها بين ذراعيه. صرخت الأم من الفرحة الطاغية لرؤيتها لابنها وهى لا تكاد تصدق عينها. هرع الأب إلى باب البيت فوجئ بمنظر الأم وابنه. رمى نفسه بينهما وهو لا يكاد يصدق هو الأخر عينيه أنسكبت الدموع تبلل لحيته البيضاء التى كانت قد طالت واستطالت وهو يرفع يديه شكرا لرب السماء.

اعترف لهما أمجد – فيما بعد – بما اقترفته يداه فى حق نفسه، وكان قد عقد العزم على ألا يعود للتدخين – أو بالأحرى – للمخدرات فكلاهما الشر الوبيل.

وتيقن من عكوفه على الصلاة أن الله لا يغير بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

استمر دون كلل أو ملل يعكف على البحث والدرس والتحصيل. حصل على الثانوية العامة بتفوق كبير وانتظم فى سلك الجامعة بعد أن كان قد أدمن القراءة

قرأ لطه حسين والمازنى والعقاد وزكى مبارك وهيكل والرافعى وغيرهم من كبار الأدباء، وأقبل على أمهات الكتب القديمة ينهل منها، نهاية الأرب فى فنون الأدب، والعقد الفريد، والأغانى، والأمالى، ولسان العرب وغيرها. تعلم أن القراءة هى مفتاح الشخصية كما عبر فيلسوف الصين (هيوانج شونج). كما آمن بقول الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾. [سورة الرعد – الآية ١١] صدق الله العظيم.

❑❑❑

التاريخ يتكلم

من خلال الهجوم الضارى الذى تعرضت له مصر بعد تأميم الرئيس جمال عبد الناصر – رحمه الله – لشركة قناة السويس كتبت هذه الكلمة ونشرت بجريدة الأخبار بتاريخ ١٨/٩/١٩٥٦.

فى عام ١٧٩٨ استطاع شعب مصر أن يتصدى لقوات نابليون ويلحق بها الخسائر والهزائم، وفى ١٨٠١ استطاع الشعب المصرى أن يطرد قوات فرنسا من بلاده وفى ١٨٠٧ تصدى المصريون لقوات «فريزر» فى رشيد وفتكوا بها.

وفى ١٨٨٢ استطاع الشعب المصرى أن يشتت قوات الإنجليز فى الصحراء حتى يئسوا من البقاء فى البلاد وجلو بجيوشهم عنها نهائيا لولا الخيانة التى مكنتهم فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ من أن يحتلوا مصر عن طريق قناة السويس.

وفى ١٩١٩ قام الشعب بثورته العظيمة واستمر يكافح حتى انتصر فى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، وفى ١٩٥٦ استطاعت مصر بقيادة قائدها جمال عبد الناصر أن تجلى الجيوش الأجنبية عن أراضيها ثم استكملت سيادتها بتأميم شركة القناة.

هذه انتصاراتنا على الإنجليز والفرنسيين، فماذا سيكون مصير المعركة الراهنة؟ أن التاريخ وحده يجيب على هذا السؤال؟

❑❑❑

أيها الثلاثة الصغار

كنت قد انخرطت فى سلك المتطوعين للدفاع عن أرض مصر ضد العدوان المحتمل والذى اكتمل فى أكتوبر عام ١٩٥٦ بالهجوم الثلاثى المدبر من قبل إنجلترا وفرنسا وإسرائيل وحملنا السلاح الروسى بعد أن تدربنا على إطلاقه على يد الضابطين الوطنيين «ليون» و«نعيم» فى مدرسة الفيوم الثانوية فكتبت هذه الكلمة ونشرت فى جريدة الشعب «بتاريخ ١٤ أغسطس سنة ١٩٥٦» قلت فيها: منذ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم مصر لشركة قناة السويس ودول الغرب الثلاثة تعيش فى ذهول تام فقد كانت هذه الدول تنتظر إليها بانسحابها من مشروع السد العالى ستذل مصر وتجعلها تركع على ركبتها متوسلة تستدر منها العطف لى تعينها على القيام بهذا المشروع الذى تعلق عليه مصر جسام الآمال.. وجاء رد مصر على هذه الدول قويا على لسان جمال الذى أعلن أن مصر قد أممت شركة قناة السويس وهى بذلك ستبنى السد العالى بأموال مصرية وسواعد مصرية، وكانت هذه الضربة التى أصابت هذه الدول.. دول الاستعمار فجعلتها تتخبط وتعيش فى هذا الذهول الى لم تستطع منه مخرجا إلا بهذا القرار الذى أعلنته على لسان صغارها الثلاثة – أيدن – بينو – دلاس.. ولكن مرحى مرحى أيها الثلاثة الصغار! أن القناة ملك شرعى لمصر وهى بتأميمها إياها أنما تسترد حقا من حقوقها.. فلم إذن هذه الضجة؟!

وعلى أى أساس إذن أتخذتم هذا القرار!

لا لا أيها الثلاثة الصغار.. إن القناة ملك وحق لمصر وستدافع عنها بكل قواها وجوارحها.. فأننا جميعا على استعداد لبذل آخر قطرة من دمائنا على ألا نسمح لأى دولة من الدول أن تنتقص من سيادتنا وحريتنا وسنسير قدما إلى الأمام والله معنا.

.. وهاكم ما قله زعيم الاتحاد السوفيتى «خروشوف»: «أن مصر كانت تحكم نفسها بنفسها عندما كانت أوروبا تعيش فى الكهوف والجبال»!

❑❑❑

الروك آند رول.. صفعة لمبادىء الأخلاق

انتشـرت هـذه الرقصة الماجنة بين الشـباب فى مصر فكتبت بتاريـخ ٢٢/ ٥ /١٩٥٧ بجريدة الشعب أقول:

منعتها إنجلترا التى ينتشر فيها مذهب العرى ويتزايد! ونبذتها روسيا.

وقال عنها «شبيلوف» فى مؤتمر الموسيقيين السوفييت: «إنها انفجار لأحط أنواع الغرائز إنها نوع من تهتك الأقوام البدائيين فى كهوفهم.. إنها صفعة لمبادىء الأخلاق!

هـذه هـى رقصة «الروك أند رول»! تلك الرقصة الأمريكيـة المبتذلة التى بدأت تتغلغل أو قل تغلغلت فعلا بين شبابنا وشاباتنا.. وعلى الأخص شباب وشابات الجامعات! حتى أنهم يعقدون لها اليوم البطولات.. ويقيمون لها المسابقات!

وأيـن يجرى كل ذلـك؟! فى مصر زعيمة العـالم العربى والإسـلامى التى لها دينها وتقاليدها وأخلاقها.

إنهم إذا كانوا يعتبرونها - فى الغرب - تقدما فى عالم الرقص فنحن هنا فى الشـرق نعتبرها تقدما فى عالم المجون والخلاعة التى لا يحرص عليها سـوى المنحلين الفاسـدين ذوى النفوس الضعيفة.

إننـى أطالب المجلس الأعلى لرعاية الشـباب بأن يمنـع - فورا - هذه الرقصة المثيرة للفتنة والغرائز الداعية للمجون والإنحلال حتى لا تؤثر على أطفالنا وهم لم يشبوا عن الطوق بعد فتؤثر فيهم وتؤثر عليهم بما يعرضهم لخطر محيق.

ولقد صدق الإمام «أبو حامد الغزالى» عندما قال:

«إن الطفـل جوهـرة نفيسـة سـاذجة خاليـة مـن كل نقش وصـورة وهـو قابل لكل ما ينقش عليه».

❑❑❑

ارحموا شعور الطلبة يا بنات الجامعات

كتبت هذه الكلمة إبان التحاقى بكلية الآداب جامعة عين شمس قبل انتظامى بكلية الحقوق جامعة الإسكندرية نشرت فى جريدة الأخبار باب أخبار الجامعات بتاريخ ١/ ١١/ ١٩٦١ وأتت بأثر طيب.

إذ أصدر الدكتور أحمد عزت عبد الكريم عميد كلية الآداب جامعة عين شمس بعدم دخول طالبة تخالف الحشمة إلى الحرم الجامعى بعد أن ألقى محاضرة ناصحا ومنذرا الطالبات بأن أية طالبة تتبرج فى زياها سوف تمنع من دخول الكلية كما أصدر الدكتور محمد مرسى أحمد رئيس الجامعة قراره النهائى بعدم السماح لأية طالبة بدخول الجامعة ما لم تكن محتشمة فى زيها ومظهرها العام.

كما أن الدكتورة «نفسية الغمراوى» عميدة معهد التربية الرياضية للبنات أقامت أسبوعا لمحاربة الجونلات الضيقة بالمعهد. علقت لافتات فى أنحاء المعهد تقول أحداها «ضيق الملابس ضد الخلق القويم» وطلبت أن تكون الجونلة تحت الركبة كلفت المدرسات بقص الجونلات الضيقة لتوسيعها أثناء طابور الصباح. واشترطت أن تكون «كسرة الجونلة» من الخلف ٢٠ سم على الأقل.

وهاجمت السيدة «زاهية مرزوق» اقبال الطالبات على ارتداء الأزياء الضيقة والكاشفة حيث قالت: الطالبات ليس لديهن ذوق فى اختيار الملابس أنهن يخترن الملابس غير اللائقة.

وانتقدنى أحد الكتاب تحت عنوان «موكب الجهل فى جامعاتنا» قال فيه إن كاتب مقال «ارحموا شعور الطلبة يا بنات الجامعات»: هو صوت ساذج يطالب بتوحيد زى طالبات الجامعة ولو استمعنا له سترتفع أصوات أخرى تطالب بتوحيد زى كل سيدات مصر وفرض الملاية اللف عليهن والمقال كان ممهورا باسم السندباد البحرى.

أما الأستاذ الكبير «على أمين» فقد كتب فى «فكرة» بتاريخ ٢ ديسمبر ١٩٦١ ذاكرا أنه عندما دخل جامعة شيفلد عام ١٩٣١ لم يلبس الروب الأسود إلا مرة واحدة بيد أنه أردف قائلاً: إنه معه معارضته لتوحيد الزى بين طالبات الجامعة فليس معنى هذا أن نسمح لطالبة الجامعة أن تذهب إلى المحاضرات بفستان سهرة؟!

على حين أن الأستاذ «عباس محمود العقاد» كتب فى يومياته بجريدة الأخبار يقول: ليس نظام الزى الجامعى فيما أرى مناقدا لفكرة الاستقلال الدراسى.. ولكنه يفضل استقلال كل جامعة بزيها تحقيقا لهذه الغاية.

وقد نشرت جريدة الأخبار فى تاريخ ١٩٦١/١١/٢٩ تحت عنوان: «جمعية محاربة الملابس غير اللائقة فى آداب بالقاهرة» وقالت: إن كلية الآداب جامعة القاهرة قد أعلنت الحرب على الملابس الخليعة التى تظهر بها بعض طالبات الجامعات وتزعم الحملة سعد الدين إبراهيم المعيد بقسم الاجتماع ورائد أسرة الزحف المقدس.

والمقال هو:

أليس لنا من سبيل للقضاء على تلك الأزياء الخارجة عن الذوق والتى تتحدى على الملأ الآداب العامة، وقف بالمرصاد لتقاليدنا وعاداتنا وأخلاقنا فى الجامعة؟!

تعالى إلى «الحرم» الجامعى - وياليتهم ما سموه حرما - لتعرف بنفسك كيف استبيح هذا الحرم حتى أصبح أشبه بصالة عرض أو كرنفال يختلط فيه الحابل والنابل ويتداخل معه الأبيض مع الأحمر مع الأسود الأمر الذى أصبح فذى لكل عين وجرحا للنفس الحساسة؟!

وأنا والدعوة موجهة إلى المرحوم الأستاذ أحمد لطفى حسونة إلى قيادة حملة أخرى على أزيائهن التى لا تقل خلاعة عن الأغانى التى حاربتها!

وأننى أدعو عميد كل كلية إلى محاربة هذه الأزياء التى أهانت «الحرم الجامعى» وخدشت عفة الكثيرين.. ورحم الله مصطفى صادق الرافعى حين قال:

لو جيء لى بفتى يعاكس فتاة لنظرت إلى الفتاة فلو وجدتها متزينة متعطرة مصقولة لحكمت عليها بعقوبتين الأولى: لأنها خدشت عفة الفتى والثانية لأنها كشفت اللحم للهر؟!

وما أكثر فتياتنا اللائى يكشفنا لحومهن للهرر!

□□□

استغلال الطاقة الشمسية

نشرت فى جريدة الأهرام بتاريخ ٧/ ٦/ ١٩٥٧.

أذيع منذ أسابيع قلائل نبأ تكوين جمعية يونانية تضم سبعة من أكبر علماء أثينا للعمل على استغلال الطاقة الشمسية فى الأغراض التى تفيد الشعب اليونانى.. وتنمى ثروته.. واقتصاده.

وفى اليابان استطاع البروفسور «أنصيماتسو» الأستاذ بجامعة طوكيو أن يخترع غلاية شمسية تستخدم الآن على نطاق واسع فى أغراض الطهى فى البيوت اليابانية.. وهذه الطاقة تولد ٩,٣٣٤ سعرا حراريا فى الدقيقة الواحدة أى ما يعادل الحرارة الناتجة من موقد كهربى قوته ٦٠٠ كيلو وات.

.. وفى الهند.. تمكن عالم من علمائها أن يخترع موقد شمسيا لشى اللحوم وطهى الأطعمة فى دقائق معدودات!..

.. وفى روسيا تأسس مصنع خاص لإنتاج البخار من الطاقة الشمسية.

وفى أمريكا تستخدم الطاقة الشمسية فى إنتاج الثلج!

حبذا لو وجه علماؤنا اهتمامهم إلى هذا الميدان الهام، الذى يمكن أن نفيد منه أعظم إفادة، لا سيما وأن مصر قد وهبها الله من «الميزات المناخية» ما يسهل لها استغلالها لطاقتها الشمسية.. على خير وجه.

❑❑❑

سائلوا القاضى.. واتقوا الله فى القضاء..؟!

فـى غضون عام ١٩٧٩ كتب المرحـوم (والدى) فى يوميات الأسـتاذ «أحمد الصاوى» بجريدة الأخبار يقول:

سـائلوا القاضى عن عمله كيف يؤديه، وعن خلقـه كيف يقوم عليه، وعن عمله كيف يصرفه، وعن علاقته بالحق تبارك وتعالى.

سائلوه عن إدارته للجلسة، وكيف يسوى بين الخصمين حتى فى النظرة.

سائلوه عن مظهره وجوهره، وحلمه ووقره، وعن أموره الداخلية، ومعاملاته الخاصة.

سائلوه عن كل صغيرة بل عن كل هذا وحاسبوه عن كل أولئك حسابا عسيرا.

اطلبوا منه أن يتسامى فى عمله حتى يأمن فى ظله السائل ويقوى عنده الضعيف، وماله من منة على أحد إذا أنهكه التعب أو فاض به السقم أو هده سهاد الليل.

ألم تجعله الدولة رمزا لكرامتها وسيادتها؟

أو ليس ينتهى إليه صرخة المظلوم وأنه المكلوم.

أو ليس ينتهى إليه الفصل فى خصومات الناس لينشر عدل الله فى أرضه فترسو قواعد الأمن وتستقر المعاملات.

ولقد لبثت أتعبد فى محراب القضاء سنين عددا لا أبتغى غير وجه ربى الأعلى وكنت دائما وابدا أدافع عن سدنته كلما جد ما يدعونى إلى ذلك.

وها أنذا اليوم أقرأ على صفحات الجرائد أن السيد وزير العدل سيصرف لرجال القضاء حوافز إنتاج وقد نما إلى علمى أن كلا من رجال القضاء سـيصرف له خمسة عشر فى المائة «للمتفوقين منهم»!!

وإننا نرى أن هذا الخبر فى طياته إهانة كبرى لرجال القضاء.

فإنـه من غير المعقـول أن يمنح القاضى حوافز إنتاج كما لو كان عاملا فى أحد المصانع وهو ما يختلف اختلافا جذريا عن طبيعة عمل القاضى.. وهذا لا يليق بكرامة القضاء الذى يجب أن يسمو فى عمله على كل اعتبار.

إن هـذا المسـلك المزمع الأخذ به يجب أن تنأى عنه الدولـة حفاظا على كرامة القضاء وحفظا لقدسية القضاء.

وجدير بالذكر أن إنجلترا تعطى لكل قاض من قضاتها شـيكا مفتوحا على البنك يبيح له أن يأخذ أى مبلغ يشـاء أن يأخذه على حسـاب الدولة.. وأن كان مثل هذا الشـيك لم يستعمله قضاة الإنجليز حتى الآن.

ولا ريب أن السر فى هذا هو ارتفاع مرتب القاضى الإنجليزى إلى مبالغ خيالية.

وليذكـر أصحاب الرأى الآخر ما حدث فى بلاد الإنجليز أيام الحرب العظمى الأخيرة فى عهد «تشرشـل» حين تضرر أحد القضاء من وجود مطار للطائرات الإنجليزية المحاربة بجـوار المحكمة، فقامت الحكومة الإنجليزية بنقلـه فى الحال إلى جهة أخرى نائية عن المحكمة احتراما منها لقضائها وقضاتها.

وأنه لمن غير المفهوم أن يعترض أحد على زيادة رواتب القضاة أو فى القليل عن منحهم بدل تفرغ فالقضاء المصرى هو الدرع الواقى لأمجاد هذه الأمة ومقدساتها.

وأخـيرا فأننـى أرجو من وزير العدل «أن يتدبر الأمر وألا يحاول أن يقدم خدمة لرجال القضاء فى ثوب لا يليق بكرامتهم التى تعلو على كل كرامة».

❑❑❑

المحامون الأدباء.. والقضاة النبغاء

ثمة علاقة وطيدة بين الأدب والصحافة وبين الأفذاذ من رجال القضاء الجالس والواقف على السواء أشار إليها المحامى الأديب الأستاذ «محمود كامل» فى كتابه «يوميات محام مصر» فقد عرف تاريخ القانون فى مصر الزعيم خالد الذكر «سعد زغلول» وقبل أن يتبوأ دست الزعامة ويتقلد كرسى القيادة سعد زغلول المحامى النابغ الذى كان صوته الجهورة وعقله الألمعى يهز ساحات المحاكم دفاعا عن الضعفاء والمظلومين وعمل بالصحافة محررا فى جريدة «الوقائع المصرية» وكذلك عرفت ساحات المحاكم الأستاذ «محمود الهلباوى» الذى كان محاميا جهبذا يشار إليه بالبنان وكحذلك الزعيم «محمد فريد» الذى وصل إلى درجة رئيس نيابة ثم استقال وعمل بالمحاماة مفضلا إياها على القضاء.

أما معلم الجيل الفيلسوف «أحمد لطفى السيد» فقد خلع وشاح القضاء، وارتدى رداء المحاماة وأصدرت جريدة «الجريدة» عام ١٩٠٧.

وجاء الدكتور «محمد حسين هيكل» الذى نال درجة الدكتوراه فى الحقوق من فرنسا وعمل بالقضاء ثم لفظ القضاء، وآثر أن يعمل بالصحافة وأصدر جريدة «السياسة» عام ١٩٢٢ لسان حال حزب الأحرار الدستوريين.

ناهيك عن سلسلة متعاقبة من أعاظم المحامين الذين تألقوا فى سلك المحاماة تألقا لم يكن يتاح لهم لولا اشتغالهم بهذه المهنة الرفيعة مهنة المحاماة منهم «مكرم عبيد باشا» الخطيب المفوه الذى كانت تهتز له أعواد المنابر صاحب الثقافة الرفيعة والمواقف السياسة الرائعة حتى أن الإنجليز أضطروا لنفيه مع سعد زغلول إلى جزيرة سيشل ومصطفى النحاس باشا الزعيم الوطنى والمحامى القدير «أحمد رشدى» غيرهم وغيرهم من النبغاء من المحامين البلغاء.

وقبل ذلك بسنوات شهدت المحاكم الفرنسية العديد من عباقرة المحامين أمثال Jean de la bruyere الذى جمع بين الفلسفة والأدب وفافر Favre الذى استغل كل مواهبه الأدبية فى الدفاع عن أصحاب الحقوق ومن أقواله: «إن الحكومات تسقط بسبب الأخطاء التى ترتكبها هى بنفسها وأن الله قد أعد نكبات لا حصر لها ولا يتوقعونها لهؤلاء الذين لا يعترفون بالقوانين الإلهية».

والمحامـــى «فرنان لابـــورى» الذى هوى الأدب وأغرم بالموســـيقى وأولع بالصحافة وقد ترافـــع فى قضية «دريفوس» الذى اتهم بقضية التجســـس لصـــالح ألمانيا وصدر الحكم عليه بتجريـــده من رتبته العســـكرية حيث كان يعمل ضابطا بالجيش الفرنســـى وكان بريئا من التهمة المنسوبة إليه وتولى الدفاع عنه هذا المحامى الأديب ناهيك عن أدباء فرنسا النابغين وهم «إميل زولا ومرســـيل بروســـت وأناتول فرانس» وقد ألف إميل زولا هذا الكتاب العالمى العبقرى كتابا دفاعا أسماه «إنى أتهم» وقد أصدرت محكمة النقض الفرنسية حكما ببطلان الحكم السابق على دريفوس فى ١٢ يوليو سنة ١٩٠٢ واعادته إلى الجيش العامل ومنح بعد ذلك وسام الشرف الفرنسى.

وقد اتخذت اليهودية العالمية من قضيته ذريعة فى صياغة النظرية الصهيونية السياسية وتكئة فى التدليل على معاداة الشـــعوب لهم وكان ذلك ســـببا فى خروج اليهود من أوروبا وتجميعهم فى وطن خاص بهم فى أرض فلسطين السليبة.

❑❑❑

خطاب إلى والدى

أقبل يديكم الكريمتين وأهنئكم بحلول العام الجديد جعله الله عاما سعيدا عليكم وعلى الوالدة الجليلة والإخوة الأعزاء..

وبعد:

لقد اشتقت كثيرا إليكم وعسى أن يوفقنى الله واتمكن من الحصول على إجازة ولو سريعة حتى أحظى بلقياكم فى عيد الأضحى المبارك أعاده الله عليكم بالصحة واليمن والبركات، فسوف يحصل زميلى الذى أعمل معه على إجازته ليزور بلدته فى العيد وكذلك زملائى الآخر، ولن يكون هناك فى نيابة قنا سواى ومن هنا فلو تأخرت قليلا فى المجىء وربما يكون هذا بعد العيد بأسبوعين أو ثلاثة، فأرجو أن تطمئنوا على وألا تقلقوا فكل الأمور بحمد الله وبفضل رضاكم على أنتم والوالدة تسير على خير ما يرام.. ويسرنى أن أخبر حضرتكم أننى سوف أحضر معى التذاكر الخاصة بسفركم بإذن الله أنتم والوالدة الفاضلة واخوتى من القاهرة إلى الأقصر ذهابا وإيابا ولقد تسلمتها بالفعل.. وعسى أن تكون دعوتى هذه دعوة مقبولة لديكم فتتشرفونى بالزيارة هنا فى قلب الصعيد.. ليس هناك من جديد أقصه على حضرتكم سوى أننى الآن أقيم بصفة دائمة فى الأقصر فى البيت الذى استأجرته لا أبارحه البتة اللهم إلا لدقائق معدودات مرة أو مرتين فى الأسبوع لأننى متفرغ لإنجاز عملى.. وفى كل مساء وصباح أعكف على تجهيز الشاى الى تفضلتم وأهديتمونية، على «الوابور» الذى تفضلت الوالدة فأعطتنيه.. أما البوتاجاز الذى استطعت أن أقتنيه.. فلم تصل «أنبوبته» حتى الآن..

ولقد وجهت إلى دعوة من الدكتور جمال مختار المشرف على آثار الأقصر لحضور حفل افتتاح مشروع الصوت والضوء والتى حضرها الدكتور عبد القادر حاتم وما أن جهزت نفسى لتقبل هذه الدعوى وكنت قد أزمعت الحديث مع الدكتور عبد القادر حاتم عن أمر انتدابى حتى جاء من يدق على الباب يخبرنى بوقوع جريمة قتل فى إحدى الجزر المتاخمة للبر الغربى للأقصر «القرنة» فشددت الرحال إلى هناك.. وفوّت على هذا فرصة اللقاء بحاتم.. وإن كنت قد قلت لنفسى لعل الله قد أراد بك خيراً.

والدى العزيز:

وهكـذا تدور الأيام، فمن القاهرة إلى قوص ونقادة ومن قوص ونقادة إلى اسـنا ومنها إلى الأقصـر والله وحده يعلم أين سـأكون غدا والواقع أن حياة الغربـة بما فيها من بعد عنكم هى حياة رتيبة ثقيلة ولكن بالصبر يهون كل شىء وفى سبيل المستقبل لا بد للإنسان وأن يضحى كما علمتمونا جميعا وكنتم أنتم خير المثل وأروع المثال فى الصبر وفى التضحية وفى الجهاد وكلما ضاق بى الأمر تذكرت كفاحكم المشـرف الطويل وأضعه أمام ناظرى نبراسـا أسـتضىء به على مشـقة الحياة التى لا أنيس فيها ولا جليس ولا أخ ولا صديق وقد كنتم ولازلتم وسوف تظلون أبدا نعم الأب الصديق.. الصديق الأول والأخير أنتم ووالدتى الجليلة واخوتى الأعزاء.. وإن كنت قد بعدت عنكم بجسـدى فأنا دائما معكم بروحى وأشعر أنكم معى فى كل لحظة من اللحظات.

أما عن الأقصر فلم أرها جيدا حتى الآن مع مكوثى فيها لمدة تنيف عن الستة شهور كما تعلمون ولسـت أدرى هل أنا أقيم فى مدينة أو أسـكن فى قرية؟ فهى خليط من هذا وذاك وأحيانا تشـرق صورتها أمام ناظرى فأرى فيها وجه المدينة بصخبها وضوضائها.. وأحيانا أخرى تظلم الصورة فألفى أمامى قرية صغيرة بسـكونها وهدوئها واضمحلال حجمها وطيبة أهلهـا.. ويوجـد بها من النقائض ما يجعلها تبدو لى تارة أخرى أنها أشـبه بسـطح القمر ببرودتها الشـديدة.. وسـكونها الدائم إذ ينسـدل الظلام عليها وتخلو طرقاتها من السابلة وكأنها قبر كبير يعج بآثار الفراعين فهى ليس فيها أى أصر للحياة إلا النذر اليسير منها.

وإن كنت قد تركت قوص بشيخها القوصى.. فها هنا سيدى أبى الحجاج الأقصرى بطل الأقصر «كما يسـمونه» وشـيخها ووليها الصالح الذى تحكى عنه القصص وتسرد الروايات وكذلك سـاحة الرضوانية التى تذكر باسـم ولى الله الشيخ أحمد الرضوان الذى تحكى عنه الكرمات بين الحين والحين.. وهو لهذه المناسـبة من الأصدقاء المقربين للرئيس جمال عبد الناصر وهذه الساحة تمتد باتساع على أرض ذات فجاج كل من يزور الأقصر يقوم بزيارتها وتنـاول أطايب الطعام فيها بـل ويخلو البعض إلى النوم فى أروقتها ويأتى إليها دوما كبار الشخصيات فى مصر للتبرج بالشيخ الرضوان رحمه الله وملاقات أبنائه.

ويقع مسـجد سـيد أبو الحجاج فى قلب آثار الفراعنة فـى منظر بديع جميل خلاب فمئذنتـه التى تشـرئب إلى السـماء وكأنها هى الأخـرى من آثار الفراعنـة بطولها ورهبة ارتفاعها.. تشير إلى دلالالات وتوحى بإيحاءات يهتز لها قلب الإنسان.

فهذه هى الحضارة الإسلامية متمثلة فى هذا البيت الكريم من بيوت الله يمتزج بحضارة مصرية ضاربة فى القدم مرت عليها أزمان وأزمان فمن جوف الآثار تخرج مئذنة شامخة تشير إلى وحدة الحضارة ووحدة الإنسان فى كل زمان وفى كل مكان.. وها هم الفراعنة الذين كانوا أول من عرف التوحيد على يد «أخناتون» ينبعث الصوت الخالد من داخل أرماسهم ومعابدهم مرددا صوت المؤذن فى كل صلاة «الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله» ينبه العاقل ويذكر الظالم ويبشر المظلوم.

والدى العزيز:

استمح حضرتكم – عذرا – إن كنت قد أطلت عليكم ولكنها الرغبة الجارفة فى الحديث إليكم أكرر لكم تهنئتى القلبية بعيد الأضحى المبارك أعاده الله عليكم وعلى والدتى العزيزة الجليلة وإخوتى الفضلاء بالخير واليمن والإقبال.

وكل عام وحضرتكم بخير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابنكم المخلص

محمد

فجر ٣١/ ١٢/ ١٩٧٠

❑❑❑

القاضى المستشار «محمد مرشدى بركات»
فى سطور

ـ تخرج القاضى المستشـار محمد مرشـدى بركات فى كلية الحقوق – جامعة القاهرة – وعين وكيلا لنيابة قوص ثم وكيلا لنيابة إسنا، فوكيلا لنيابة الأقصر.

ـ وعين قاضيا ثم رئيسـا لمحكمة الأقصر الوطنية، فرئيسـا لمحاكم الغردقة، وسـفاجا، والقصـير، والزقازيق، وبنها، وطنطا، وشـبين الكوم، ومحكمة جنوب القاهرة، فرئيسـا لمحكمة مصر الجديدة عام ١٩٨٠، ومستشـارا بمحكمة الاسـتئناف العالى ببنى سـويف، ثم المنيا، فالسويس، والإسماعيلية، وبورسعيد.

فنائبا لرئيس محكمة استئناف القاهرة، فرئيسا لمحكمة الاستئناف العالى بها.

ـ انتدب إبان عمله بمحكمة القاهرة مستشارا للأمانة العامة لمجلس الوزراء لمراجعة قضايا المفصولين من غير الطريق التأديبى.

ـ ورحـل إلى قطـر للعمل فى القضاء هناك، ثم عاد منها حيث أسـند إليه رئاسـة مركز التحكيم الدولى الأفريقى.

منذ سـن باكرة اتصل المستشـار بكبار أدباء مصر وعلى رأسهم: «الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد»، مما يذكر أن الأسـتاذ «العقاد» قد أرسـل له برقيات هاتفية فى مناسبات مختلفة جاء فى واحدة منها:

[نرجو للمرشدى ذروة المجد الأدبى والخلود الأبدى]

ـ حاز على جائزة التفوق الاجتماعى وهو ينتظم فى الصف الثالث الثانوى، وكانت تتيح له الالتحاق بالجامعة دون التقيد بدرجات المجموع، وكذلك الإعفاء من المصاريف المدرسية.

ـ حصـل على العديـد من جوائز الدولـة: أولاها الجائزة الأولى فـى أول عيد للعلم عام ١٩٥٩ – ١٩٦٠ عـن بحـث فى تحليل شـخصية الرئيس الراحل «جمـال عبد الناصر» وطبع بحثه على نفقة الدولة مع الفائزين الأربعة الآخرين، وكرمه الرئيس الراحل «جمال عبد الناصـر» فى قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة وسـلمه شـهادة امتياز ميدالية

تقدير وشـيك بمبلغ من المـال فى هذا الاحتفال الذى كان علـى رأس المحتفى بهم عميد الأدب العربى الدكتور «طه حسين».

فـى السـنة التالية فاز كذلك فى عيد العلم الذى كان يحضـره الرئيس الراحل «جمال عبد الناصر» فى نفس المكان السالف ذكره وسلمه الجوائز الخاصة به عن بحثه فى مشكلة تنظيم الأسرة وكان من المحتفى بهم فى هذا العيد الأستاذ الكبير «عباس محمود العقاد».

ـ فاز بالجائزة الأولى فى بحثه عن (احتكار العلم) وسلمه جوائزه الأستاذ الدكتور «حسين سعيد» وزير التعليم العالى.

وكذلك سلمه المرحوم الأستاذ «صلاح دسوقى» محافظ القاهرة جوائزه فى بحثه الذى فاز فيه بالجائزة الأولى عن: (البترول العربى).

– فاز بالجائزة الأولى من جامعة القاهرة فى بحثه عن (مشـكلة السـكان فى مصر) وسلمه الجائزة الأستاذ الدكتور «حسين فوزى» وكيل جامعة القاهرة.

– كما نال الجائزة الأولى فى القراءة من وزارة التعليم العالى.

– كتب فى الصحف والمجلات المختلفة، وكانت أولى مقالاته بجريدة الأخبار مقال (التاريخ يتكلم) عام ١٩٥٦.

– كتب العديد من المقالات فى صحف الأهرام والوفد والمصور وروز اليوسـف وآخر ساعة.

– نشر له المرحوم الأستاذ الكبير «أحمد الصاوى محمد» مقالات مختلفة له فى بابه «ما قل ودل».

والده المغفور له (بإذن الله) المستشـار «محمد مرشـدى بركات» رئيس محكمة استئناف القاهرة.

ـ وانتخـب والـده عضوا بمجلس نادى قضـاة مصر.. وأمينا للصندوق لـه (بالتزكية لمدة خمسة عشر عاما).

ولـه مقالات عديدة فى صحيفتـى «الأهرام»، و «الأخبار» تدور كلها حول المناسـبات الكبرى فى حياة الرسول «محمد» – عليه الصلاة والسلام –.. ناهيك عن مقالته فى الدفاع عن القضاء فى فترة تعرض فيها القضاء للعصف.

متزوج وله ابنان «خالد محمد مرشدى بركات» وقد حصل على ليسانس الحقوق جامعة

عين شمس – قسم اللغة الإنجليزية – ثم تحصل على الماجستير من ذات الجامعة، ثم دبلوم فى Arbitration، وكذلك دبلوم من الجامعة الأمريكية، ودبلوم العلوم الإدارية، ويعمل قاضيا بمجلس الدولة.

و«سارة محمد مرشدى بركات» وقد حصلت على ليسانس الحقوق جامعة عين شمس – قسم اللغة الإنجليزية – بتقدير جيد جدا، ثم تحصلت لشغل الماجستير من ذات الجامعة، وكذلك على دبلومة من الجامعة الأمريكية، ومرشحة تشغل منصب وكيل النيابة الإدارية.

❑❑❑

الفهرس

إهداء..... ٣
مقدمة الكتاب..... ٥
رسول السماء وريحانة الأنبياء..... ٩
المسلمون الألبان.. والشيخ تركمان؟!..... ١٣
بابا مصر والعرب.. غزير العلم وجم الأدب..... ١٦
رؤية قبطية للفتح الإسلامى..... ٢٢
أحمد زويل.. العبقرى المصرى..!..... ٢٥
أخطاء تتحدى الصواب..؟!..... ٢٨
أخطر يوم فى تاريخ القاهرة..؟!..... ٢٩
الإسراف فى حياتنا..؟!..... ٣٢
القاضى الأول فى الجاهلية.. وفى الإسلام..... ٣٥
الأعياد.. والعباد..... ٣٩
الإفتئات على الحقد.. وعلى عظمة الرجال..... ٤١
الإهتمام بقواعد اللغة العربية..... ٤٤
الدفاع عن كرامة القضاء..... ٤٥
الرحالة العظيم..... ٤٧
الرسول وتعدد الزوجات..... ٥١
مهزلة الرفق بالحيوان.. لدى الغرب؟!..... ٥٤
الرقص على البارود..؟!..... ٥٦
السبت الدامى.. وضرورة القبض على الجانى..... ٥٨
الشعب الذى يفرط فى كرامته.. تضيع هيبته؟!..... ٦٠
الصحراء الغربية.. والحدائق الشيطانية؟!..... ٦٣
الصفات التى يجب أن يتحلى بها القاضى..... ٦٧
العقاد وأفول العقل؟!..... ٦٩

الغُنم بالغُرم.. والهنود الحمر؟!..... ٧٣
ألف ليلة وليلة.. والقضاء المصرى..... ٧٥
القضاء المصرى.. بين التقليد.. والتقاليد؟!..... ٧٦
القضاء بين الماضى والحاضر..... ٧٩
القضاء ذلك الحصن..... ٨٠
المكتبات الموسيقية..... ٨٤
تعمير صحراء سيناء..... ٨٦
النائب العام.. محامى الشعب..... ٨٧
النفاق جرثومة الداء.. وسـر البلاء.. وفساد العباد والبلاد؟!..... ٨٨
أنيـس منصور بين تفاحة الصحافة وجنة الأدب..... ٩٢
مأساة طبيب عظيم..... ٩٥
بل.. عندما تصبح القضية امرأة..؟!..... ٩٧
تاريخنا. هل يكتب من جديد؟..... ٩٩
تراجع اللغة العربية.. تراجع للنعرة القومية (رسـالة إلى وزير التعليم)..... ١٠١
رؤيتى للثورة المصرية ٢٥ يناير ٢٠١١ والمأمول منها..... ١٠٤
ثورة عبرت جميع الأجيال.. وحققت الآمال..... ١٠٨
جلال القضاء..... ١١٢
وجيش مصر العظيم.. كذلك يستحقها..... ١١٣
حق الجار على جاره..... ١١٥
من قـاض مصرى.. إلى الرئيس أوباما..... ١٢١
خطر الماسونية والمؤامرة العالمية..... ١٢٣
خواطر قاض.. ردًا على خواطر مؤرخ..... ١٢٦
المتاحف ذاكرة الشعوب..... ١٣٢
ذكرى مصطفى النحاس.. سيد الناس..... ١٣٤
راسبوتين وشعب مصر الحزين..... ١٣٨
رأينا فى الدستور..... ١٤٠
رحمة الله على الموتى.. وسـلامه على الأحياء..... ١٤٢
رسالة.. قاضى القضاة..... ١٤٤

رسالة الصحافة بين عبد الله النديم والشيخ حمزة فتح الله..... ١٤٦
سرجيوس.. قس الشيوخ.. وشيخ القسوس..؟!..... ١٥٠
يوم أن مات سعد زغلول..... ١٥٢
سلام الله.. على مصر..... ١٥٧
سيناء.. هل نعمرها بالدعاء..... ١٥٩
صاحب الجلالة.. عباس محمود العقاد..... ١٦٤
صدقت يا أستاذ عباس.. فموعدنا الآن مع الوسواس الخناس..... ١٦٩
ضربة منشة.. سبب احتلال الجزائر..... ١٧١
ضريبة الذهب الأسود.. فى عهد المصريين القدماء..... ١٧٣
عقوبة الإعدام.. بين القانون المصرى وقناة دريم..... ١٧٥
فرية صبت فى الأذان.. ومجتها الأذهان!..... ١٧٨
فن البناء..!..... ١٨١
فنادق لإنعاش الريف..... ١٨٢
فى ذكرى ميلاد.. أعظم المفكرين العرب فى القرن العشرين..... ١٨٣
حياة كالموت.. يحياها اللاجئون الفلسطينيون..... ١٨٧
من خواطر الشباب..... ١٩٣
منية المرشد.. القرية.. التى لها تاريخ؟!..... ٢٠١
فلسطين والعم سام.. غير الأمين..؟!..... ٢٠٦
كلمات لها معنى.. ولها مغزى..... ٢٠٨
العقاد.. عبقرية علمية..... ٢١٣
إبراهيم باشا.. قائد ثورة ١٩١٩؟!..... ٢١٦
يوم أن مات سعد زغلول (٢/٢)..... ٢١٩
يوم أن تعانق الهلال مع الصليب..؟!..... ٢٢٢
يوم أن غرقت إيلات..... ٢٢٦
وداعًا.. فارس الكلمة الحرة..... ٢٢٨
وداعا المستشار محمد وجدى عبد الصمد..... ٢٣٠

وداعا.. شيخ الدعاة..؟!..... ٢٣٢
هكذا كانت مصر..... ٢٣٤
نقطة الماء.. تقدر بنقطة الدماء..؟!..... ٢٣٥
نقادة.. ذلك المجهول؟!..... ٢٣٦
من تعاليم قدماء المصريين..... ٢٣٩
من قاض مصرى إلى حاكم العراق..... ٢٤٢
ملحمة أكتوبر السادات.. وصائد الدبابات..... ٢٤٤
مصطفـى أمين.. فى ذكرى الأربعين..... ٢٤٧
مجلس الدولة.. حامى حمى الحريات فى مصر..... ٢٤٩
متحف محمد عبده..... ٢٥٣
مبدأ المساواة أمام القانون وأمام القضاء..... ٢٥٤
ما هو الكتاب؟!..... ٢٥٧
ما قل ودل..... ٢٥٨
لو.. عاد إدوارد لين إلى الإسكندرية..؟!..... ٢٥٩
لمن تُدق الأجراس؟!..... ٢٦٤
كفافيس عاشق الإسكندرية..؟!..... ٢٦٦
حدث.. ذات ليلة..؟!..... ٢٦٩
التاريخ يتكلم..... ٢٧٣
أيها الثلاثة الصغار..... ٢٧٤
الروك آند رول... صفعة لمبادئ الأخلاق..؟!..... ٢٧٥
ارحموا شعور الطلبة يا بنات الجامعات..... ٢٧٦
استغلال الطاقة الشمسية..... ٢٧٨
سائلوا القاضى.. واتقوا الله فى القضاء؟!..... ٢٧٩
المحامون الأدباء.. والقضاة النبغاء..... ٢٨١
خطاب إلى والدى..... ٢٨٣
القاضى المستشار محمد مرشدى بركات فى سطور..... ٢٨٦

رقم الإيداع	٢٠١٣ / ٤٢٥٣
الترقيم الدولى	ISBN 978-977-02-7756-0

١ / ٢٠١٣ / ٢٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)